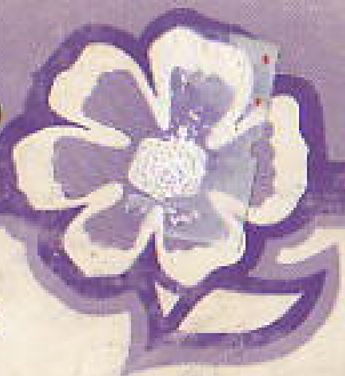
روايات عبير



فيوليت وينسبير

نور العمر

١٧٥

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 175

نور العمر

صاح قلبها «لا» للعاصفة التي ضربت حبها الأول، تركت عملها وسافرت الى جزيرة اسبانية لتبقى قرب حبيب طفولتها بعد اصابته بالعمى. كرست ايامها للعناية به وكانت له العين واليد والنور الذي شقّ الظلمة للبحث عن بعض الأمل.

الا ان رايك الذي كره الحياة بعد اصابته، زرع طريق انجي بالأشواك فكانت مهمتها شبه مستحيلة... وحربها مدمرة، حرب الضوء والعتمة. وسلاحها الوحيد حبها الذي مدّها بالشجاعة وأنعم قلبها بالصبر، ولكن الى متى؟ وهناك ايزابيل فراندوس الجميلة التي اختارها والد رايك كعروس لابنه البكر.

هل يسكت قلبها ولا يحتج حين يقرر رايك بأن انجي صالحة كعروس لأخيه؟ «لا» لن تكون لسواه.

وتقرر انجي الرحيل ولكن الى أين؟ قلبها المتعلق برايك رفض ان يخطو خطوة واحدة بعيداً عنه.

١ - توأم الظلام

مع اقتراب اليخت من جزيرة بايلتار بدأت قمة جبلها تظهر في الافق وترتفع وسط زرقة البحر المتوسط شامخة كمئذنة جامع عربي في الاندلس .

على سطح هذه الجزيرة اناس من جنسيات مختلفة اكثريتهم من الاسبانيين ذوي التأثير، الذين بنوا منازل لهم هناك فسكنوا الجزيرة وتحكموا بخيراتها وتجارتها .

احست انجي بمشاعر التأثر تنتابها وهي واقفة تراقب الجزيرة من اليخت، لقد غادرتها منذ ست سنوات طالبة في السادسة عشرة من عمرها، وها هي تعود اليوم اليها ممرضة قانونية متخرجة من ارقى الجامعات . لقد دعيت لتؤدي خدمة انسانية رائعة في منزل كارلوس

دي زالدو حاكم الجزيرة.

انحرف اليخت بالركاب باتجاه مرفأ الجزيرة الصغير واثناء انحرافه انعكست اشعة الشمس على صفحة الماء فالتمعت ببريق يأخذ الانظار. ازاء شاعرية المشهد شعرت انجي بحنين يشدها بقوة الى هذا المكان. ان حنينها الى هذه الجزيرة لم تخف وطأته بمرور السنوات الست التي قضتها بعيدة اثناء دراستها وتذكرت عندما كانت تأتي لتقضي قسماً من عطلتي فصل الصيف وفصل الشتاء عند عائلة الحاكم.

كانت مايا دي زالدو تدرس في انكلترا في المدرسة نفسها التي تدرس فيها انجي ومنذ ذلك الوقت توطدت عرى الصداقة بينهما. وعندما اصبحت انجي وحيدة بعد وفاة عمتها كيت، كان للدعوة التي وجهتها عائلة مايا لها للبقاء معها اطيب الأثر في نفسها. فقد احست فوراً برابط قوي يربطها بهم وشعرت بأن المنزل الاسباني الكبير الذي يقيمون فيه هو اجمل مكان في العالم على الاطلاق. لقد كانوا من اكثر ارستقراطيي الجزيرة تأثيراً ونفوذاً. وكان دون كارلوس نسخة عن نبلاء اسبانيا، يعيش مع اولاده بترف.

الاسبوع الماضي اختلطت ذكرياتها عن بايلتار بمشاعر مؤثرة عندما اتصلت بها مايا بالهاتف وأخبرتها بأن رايك دي زالدو اصيب بجراح بالغة في مهمة عسكرية في بلاد الباسك (مقاطعة اسبانية مضطربة تقع في شمال اسبانيا قرب الحدود مع فرنسا)، ونقل الى منزله وهو بحاجة لرعاية ممرضة.

قالت لها انجي بعصبية وهي تضغط على سماعة الهاتف:

- اخبريني كل شيء.

فأجابتها مايا بصوت مخنوق يلفه اليأس:

- انه حادث مروع. اصابته شظايا القنبلة في وجهه ورأسه. لقد فقد رايك بصره يا انجي.

كانت انجي تسترجع شريط الذكريات وتحدق في اليم فيما يقترب

اليخت بها من اليابسة. انها تتذكر رايك جيداً، وكيف يمكنها ان تنساه! لقد اقتنعت خلال تمضيتها آخر عطلة في منزل والده انها لن تلتقي ابداً مرة اخرى برجل يحتل قلبها مثله.

انها تشعر بكل دقة مضطربة من دقات قلبها فيما تسير بها سيارة التاكسي الى المنزل عبر طريق مستقيم من ساحة الجزيرة الكبرى وحيث تنتشر المقاهي التي يجلس فيها الناس يشربون القهوة ويتبادلون الأحاديث.

على جانبي الطريق تنتشر المحلات والأسواق حيث كانت تتنزه مع مايا تحت اشعة الشمس. حينها لم يكن في الافق ما يشير الى انها ستعود ثانية الى بايلتار في ظروف محزنة. فيما سيارة التاكسي تقترب من منزل دي زالدو عبر مناظر طبيعية تخطف الابصار، تساءلت انجي في قرارة نفسها عما اذا كانت ستشعر بتبدل في مشاعرها عندما ترى رايك ثانية. لقد كانت غالباً ما تفكر به خلال عملها في المستشفى في انكلترا.

انعطفت سيارة التاكسي وسلكت طريقاً تؤدي صعوداً الى كازيرا دي نوسترا حيث كانت اشجار النخيل تغطي مساحات واسعة من الأراضي بكثافة، حاجبة عنها اشعة الشمس الحارقة. ثم دخلت في طريق متعرج يمر عبر حديقة المدافن وهي حديقة واسعة جداً. كان من الواضح ان حب الجزيرة قد تأصل في نفس انجي تماماً، كحبها للابن الأكبر لحاكم الجزيرة. هذا الحب بقي في طي الكتمان منذ نشأته فلم يعلم به احد وعلى الأخص رايك.

بعد مرور ساعة من الزمن على مخابرة مايا دي زالدو لها، تدبرت انجي امرها مع مسؤولي قسم التمريض حيث تعمل، واستطاعت ان تستحصل على اذن بالذهاب الى جزيرة بايلتار لتعتني بالرجل الحاضر ابداً في ذاكرتها. لقد كانت متأكدة تماماً من جهل رايك لحقيقة مشاعرها نحوه، فأثناء فترة مراهقتها كانت تخجل منه وترتبك في حضوره. وخلال تلك الفترة بدا لها ناضجاً ومنطوياً يحب الانفراد

والتأمل.

وعى اولاد كارلوس دي زالدو منذ البداية اهمية دور والدهم في جزيرة بايلتار، ومع ذلك وجدتهم انجي بعيدين عن الغرور والتكبر. وكان طبيعيا في هذه الناحية، ان يميل طبع رايك قليلاً نحو التعالي، فهو ابن حاكم الجزيرة بالاضافة الى نزعته نحو الانفراد والسوداوية الرومنطيقية.

كان رايك بهي الطلعة، فاحم الشعر ثاقب النظرات، يمشي بطريقة هادئة ومتزنة كفارس نبيل. لم تكن انجي تتصور بأن شخصاً يتمتع بكل هذه الصفات يمكن ان يصاب بالعمى ويفقد اتزانه . . . انها ترفض في اعماقها ان تراه على هذه الصورة. ترفض ان ترى رايك الفائض حيوية وثقة بالنفس والمشحون بالقوة والشجاعة يتحول الى شخص عاجز وبحاجة الى مساعدة مستمرة.

توترت اعصابها عندما لاحت فيللا دي زالدو في الافق بجدرانها البيضاء وبرج المراقبة العالي الذي يتواجد فيه الحراس باستمرار.

وفيما كانت تحدق بالمنزل ولجت السيارة المدخل الرئيسي، فقفز احد الحراس فوراً من غرفة الحراسة وامرها بالوقوف سائلاً عن سبب الزيارة.

خفضت انجي زجاج السيارة واطلت برأسها معلنة عن اسمها له فتغيرت تصرفاته فجأة وسمح لها بمتابعة طريقها الى الداخل عبر طريق معبد وسط مرج اخضر.

كانت الساحة امام الفيللا مسيجة والنوافذ مقفلة والسكون يلف المكان. لم يتغير شيء بالنسبة الى انجي، ولم ينتقص مرور الزمن من سحر الماضي. ما ان خرجت من السيارة ووقفت في الساحة حتى استعادت صور الماضي الجميل وتذكرت اوقات اللهو التي قضوها في برج المراقبة العالي وعلى درجات سلمه، وهو احد امكنتها المفضلة للهو في هذا المنزل. كانت الحديقة الغناء التي تتوسطها بركة من الرخام الاخضر مبنية بشكل دائرة ومليئة بالسمك المتنوع الاشكال

والاحجام والألوان. وقرب البركة تنتشر مقاعد من الخيزران ومنضدة من الزجاج الاخضر اللون. ان شاعرية هذا المكان وهدوءه كانا يستهويانها على الدوام.

تركت سيارة التاكسي المكان، وفجأة زالت رغبتها بالتأمل وباستعادة بعض الذكريات. فهي بحاجة لبعض الدقائق تقضيها وحيدة، تستجمع خلالها قواها وتتحضر لمواجهة رايك وجهاً لوجه. لن تواجهه فقط كممرضة بل ايضاً كامرأة تهتم لأمره. وهذا الأمر ليس سهلاً بالطبع لأنها لن تواجه الضابط العسكري الواثق من نفسه بل رجلاً شارفت مهنته العسكرية على نهايتها بعد ان اصيبت عيناه وفقد بصره.

واخذت تسترجع في ذاكرتها الحديث الذي دار بينها وبين مايا على الهاتف. لقد قالت لها انجي:

ـ هل تأكد الاطباء نهائياً من فقدانه البصر؟ ربما لم تصب اعصاب العين بأذى. اذاك يكون العلاج ممكناً وتصبح المسألة مسألة وقت. مع قليل من العناية والصبر قد . . . .

ـ لقد قال الاطباء لأبي بألا يتوقع المعجزات. . .

ثم انفجرت بالبكاء على الهاتف مما دفع بانجي للبكاء هي ايضاً لشدة تأثرها. ثم تابعت مايا قائلة:

ـ . . . آه يا انجي، اكاد لا احتمل النظر اليه!

ـ لا، لا تقولي هذا يا مايا، ارجوك.

ـ لقد تضرر قسم كبير من وجهه. وقال الاطباء انهم سيضطرون لاجراء جراحة تجميلية له واكدوا ان الجروح ستبقى ظاهرة للعيان رغم هذه الجراحة. ان قلبي يكاد يتفطر اسى وحزناً عندما اراه على هذه الصورة! يا الهي، ما الذي فعله رايك ليستحق كل هذا؟

وانقطع حبل افكارها فجأة عندما سمعت صوتاً يناديها، فالتفتت وابصرت مايا تركض نحوها معانقة وقائلة:

ـ شكراً لله على حضورك.

فسألتها:

ـ كيف حاله؟

ـ لقد . . . تغير كثيراً. اصبح شارداً وساخراً لا يترك لاحد مجال الاقتراب منه. في اغلب الاحيان يجلس في الحديقة محدقاً في البركة كمن يرى الاسماك فيها. يخيل لمن يراه على هذه الحال ان الافكار تدور وتدور في رأسه ولا تترك له مجالاً للراحة. في الليل اسمعه عندما يتعثر اثناء سيره فهو لم يتعود على هذا الوضع بعد، وقد وقع ارضاً مرات عدة. اذا حاول احدنا مساعدته يثور ويتفوه بكلام مؤذ ولاذع. الله فقط يعلم كم كان واثقاً من نفسه ومتأكداً من كل ما يقوم به. انجي، انت لا شك تتذكرين كيف كان، اليس كذلك؟

نعم، كانت انجي لا تزال تتذكر رايك تماماً فقالت وهي تغالب دموعها:

ـ هل عرف باني سأكون ممرضته؟

فأومأت مايا بالايجاب وبدا لانجي انها تعض شفتها حزناً وألماً فقالت لها:

ـ يبدو لي انه ليس موافقاً على هذا الموضوع، اليس كذلك؟

ان رايك ذو انفة وضرورة وجود شخص ما الى جانبه ليراقب خطواته ويساعده على التغلب على فقدانه لحاسة النظر، سيثير غضبه دون شك. ولكن لا بد من وجود هذا الشخص لكي يراقب اصابته وليتأكد بصورة دقيقة وباستمرار بأن الجروح لم تتسبب بمضاعفات خطيرة.

سوف يزودها الاطباء الذين اشرفوا على علاجه بتفاصيل وضعه الصحي ولكن خبرتها كممرضة ذكرتها بأن مضاعفات جروح الرأس غير مأمونة العواقب ولا يمكن التنبؤ بها خاصة عندما تكون الضحية قد اصيبت بشظايا قنبلة.

حملت انجي حقيبتها وسارت مع مايا الى داخل الفيلا وما ان اصبحت في الداخل حتى اشتمت رائحة سيغار يللو من النوع الذي

يفضله الاسبانيون. قالت لمايا:

ـ اشعر كما لو اني كنت هنا بالأمس.

ـ لماذا بقيت بعيدة عنا؟ لم تكوني دائماً مشغولة لدرجة تمنعك من زيارتنا.

فضحكت انجي واجابتها:

ـ انت لا تعرفين مدى صعوبة عمل الممرضة.

ولم تجرؤ على القول اكثر من هذا. ثم لو ارادت، ماذا يمكنها ان تقول لمايا؟ اتقول لها بانها ابتعدت عنهم بسبب رايك وانها بسببه ايضاً عادت اليهم. وقفت الفتاتان في بهو المنزل تتحدثان وجال نظر انجي على اثاث المنزل. كانت الارض مفروشة بسجاد شرقي غني الألوان يتزاوج بروعة مع اثاث المنزل الداكن اللون.

ثم اخذت انجي تتأمل مايا بشعرها الداكن المعقود الى الخلف في تسريحة رياضية تبرز جمال عينيها.

فجأة قالت مايا:

ـ يبدو انك كبرت، واصبحت تليق بك مهنة التمريض. انا لا استطيع ان اعبر لك عن فرحتي بقدومك الينا. قد يسمح لك رايك بمساعدته.

وابتسمت انجي بتصنع للتخفيف من الاضطراب الذي بدا على صديقتها وقالت:

ـ سوف اصر على هذا الأمر. لقد تعلمت ان اكون صارمة مع المرضى الذين يظهرون عناداً.

ـ غريب ان تصبحي ممرضة، وتابعت مطرقة، كان ابي يحبك على الدوام، على الارجح لأنك تشبهين امي الى حد بعيد بسبب لونك.

ـ انا اتذكر تماماً كيف كانت تبدو امك من خلال الصور. كانت اجمل مني بكثير.

ثم نظرت من احدى النوافذ تتأمل شمس المغيب واستطردت قائلة:

- انا سعيدة لأن المنزل لا يزال على حاله، لا يبدو ان شيئاً تغير هنا.

- لا ، و. . . طبعاً باستثناء رايك.

وجالت مايا بنظرها على نوافذ الحديقة الداكنة اللون فايقنت انجي انه موجود في الداخل فسألت مايا بلهفة:

- متى ساراه؟ هل تم ابلاغه باني ساصل اليوم؟

اومات مايا برأسها ايجاباً وتابعت قائلة:

- انه لا يجتمع بنا عند الغداء، فهو لا يزال حساساً تجاه واقعه لذلك يفضل ان يتناول طعامه وحيداً في غرفة الجلوس واحياناً في الحديقة. انه هناك الآن.

- استطيع ان اشتم رائحة السيغاريللو. هل اذهب اليه الآن؟ علينا ان نواجهه عاجلاً ام آجلاً.

نظرت مايا اليها بعينين حزينتين وقالت:

- لم تتصوري ابداً انه من الممكن ان تعودي الى الجزيرة في ظروف محزنة الى هذه الدرجة، اليس كذلك؟

- كنت اتمنى كل شيء الا هذا.

كانت تعرف سلفاً بأن رؤيتها لرايك على هذه الحال ستؤلمها وتحزنها فطلبت من الله ان يساعدها على تخطي مصاعب النصف ساعة المقبلة. لقد كان بالنسبة اليها رجلاً بكل معنى الكلمة: طويل القامة نحيلها، وخطراً الى درجة اصبحت تقدرها الآن بعد ان تخطت مرحلة المراهقة.

جذبتها مايا من يدها وسارت بها نحو الحديقة المقفلة وقالت لها:

- هيا، تعالي والقي عليه التحية.

ما ان تقدمت عبر الباب حتى انبعثت رائحة السيغار بشدة ممتزجة برائحة الورود التي تزين الحديقة على مدار السنة.

ومن الحديقة شع ضوء خفيف، وما ان اصبحت في الداخل حتى ادار الرجل الجالس على الكرسي في وسط الحديقة رأسه. تراءى لها

فجأة ان العينين تحاولان البحث عن شيء ما دونما جدوى وشاهدت مدى الضرر الذي احدثته الشظايا في الوجه وحدقت وهي مشدوهة برأسه عند الصدغ حيث اجريت له الجراحة لاستئصال الشظايا. لقد سبق وشاهدت حالات اشد خطورة، لكن المصاب هنا هو رايك. شعرت فجأة برغبة في الركض اليه واحتضانه بذراعيها.

- من هنا؟

- هذه انا، مايا.

- من معك؟

اتجهت مايا صوب شقيقها رايك وانحنت عليه وقبلته ثم قالت له ضاحكة:

- حاول ان تتكهن يا صديقي.

اشاح بوجهه عن شفتيها بحدة وبحركته هذه استطاعت انجي ان ترى عينيه. لم يلحقهما اي ضرر خارجي وما زالتا على بريقهما المعتاد وحدّتها. لقد احست فجأة بأن القنبلة لم تستطع، وان ازالت حاسة النظر، ان تزيل الجاذب المغناطيسي فيهما.

قالت له انجي باللغة الاسبانية التي ساعدها آل دي زالدو على اتقانها اثناء وجودها بينهم:

- رايك دي زالدو، لقد التقينا ثانية.

فرد عليها بلغة انكليزية سليمة:

- آه، لقد اتانا ملاك الرحمة. كما ترين، انا في أيامي اعمى كخفاش في قبو وعلى حافة الجنون. اهلا يا انجيلا.

توجهت نحو كرسيه ووضعت انجي يدها برفق على كتفه قائلة:

- لا تغضب، فأنت تبدو مرتاحاً هنا. خرير الماء المتدفق في البركة يجعل من المكان واحة راحة حقيقية لك.

فقال بعصبية ظاهرة:

- تماماً. فانا بقايا انسان بحاجة للاسترخاء والراحة. فربما توقفت اذاك عن رمي الاثاث من النوافذ. كيف حالك هذه الأيام؟ هل انت

مرتاحة الى عملك؟

ـ انا مسرورة جداً من عملي يا صديقي.

كانت تود استبدال عبارة «يا صديقي» بعبارة لا تتضمن سوى اسمه، رايك، لكنها احست فجأة بالخجل، فهي، ومنذ فترة طويلة، لم تعد تلك الفتاة الصغيرة. لقد احست فجأة بانه يعتقد انها عادت الى هذا المنزل كمن يريد رؤيته في وضعه الجديد.

ـ كم تبدين متفانية. هل ستتألمين معي؟

ـ لا، بل ساحاول ان اواسيك.

قال لها ساخراً:

ـ كيف، باطعامي بعض الحلوى.

ـ هذا اذا كنت تحبها.

ـ وبعض الأكاذيب؟

ـ لا.

ـ ايتها الممرضة، لقد بدأت لتوك بالكذب.

ـ اني لا اكذب على المرضى ابداً. هذه ليست عادتي.

ـ اخبريني يا مايا، هل ستسهر صديقتك على تغذيتي، وتابع مقهقهاً، وتضربني عندما امتنع عن الأكل؟

فقاطعته مايا معترضة:

ـ لا تبدأ بمعاملتها بطريقة سيئة. لقد اصر الدكتور رومالدو على ان تعتني بك ممرضة. انا اشكر المولى لأننا استطعنا الاتصال بانجي في الوقت المناسب والا لوجدت نفسك بين يدي تنين بدلاً من يدي ممرضة.

فأجابها بلهجة ساخرة:

ـ عليّ اذن ان اتوقع من انجيلا ان تعاملني برفق! في كل حال تصرف كهذا لن يكون حكيماً، ثم تابع موجهاً كلامه الى انجي، سوف امزقك ارباً عند اول هفوة فانتبهي!

ـ بانتظار ذلك سوف اراقب خطواتك لئلا تتعثر انت يا صديقي.

كانت انجي متأكدة ان عليها ان تكون قاطعة معه فهذه هي الطريقة الوحيدة كي يتحسن نفسياً. ان اظهار مشاعرها الحقيقية تجاهه ليس مفيداً له الآن.

استوى رايك في مقعده وكان التوتر بادياً عليه والقلق يطل من عينيه المطفأتين اللتين تحدقان بانجي. فجأة قال لها:

ـ اذن، قررت ان تكوني نافذتي الى العالم، اليس كذلك؟ ايتها التعيسة، انت شديدة البساطة لدرجة تحملك على الاعتقاد بأني سأقبل هذا الأمر بكل بساطة.

ثم تلمس وجهه وتابع قائلاً:

ـ كان على هذه القنبلة ان تتابع معروفها معي وتجهز على ما تبقى مني، لم يكن من المفروض ان ابقى على قيد الحياة. الرجلان اللذان كانا معي نقلا الى المستشفى وتوفيا لاحقاً. اتظنان باني لا اعرف هذا؟

ـ آه، رايك.

وامسكت مايا بذراعه، لكنه، وبحركة عصبية تخلص منها وانفجر قائلاً:

ـ لا تعامليني كقاصر بحاجة الى تهدئة! لقد اخرج الاطباء من راسي شظايا كان بامكانها ان تحولني الى مختل عقلياً. انت تعرفين هذا وانا ايضاً. فلتتوقف اذن عن الادعاء بأن المسألة مسألة وقت قبل ان اعود الى حالتي الطبيعية. انا غارق في ظلام دامس لا اتلمس طريقي فيه، ولا احد منكم يستطيع ان يقدر هذا ومدى الألم الذي يسببه في نفسي، وتابع بمرارة، ان هذا الظلام يزداد كثافة يوماً عن يوم. ليل متواصل بدون امل بانبلاج فجر جديد. انه نفق مظلم طويل لا ينتهي! انه قبري ومع هذا علي ان ابقى على قيد الحياة...

سمعت انجي ما فيه الكفاية وأية كلمة زائدة ستفقدها اعصابها فنهرته قائلة:

ـ انت تخيف اختك فكف عن هذا الكلام. اشكر الله على انك لا تزال حياً وبامكانك ان تشعر بحرارة الشمس وانه تسمح لك

العصافير. لا اشك للحظة بأن الجنديين الاخرين كانا يتمنيان ان يكونا مكانك الآن.

قال لها فجأة بهدوء يناقض تصرفه السابق:

ـ لا اعتقد ان احداً في العالم يتمنى ان يقوده الاخرون بيدهم انجيلا، عندما يفقد الرجل حاسة البصر لا يعود للأشياء حوله اي معنى. لا يعود حتى للنساء في حياة الرجل الأعمى اي معنى. فالرجل عندما يعانق المرأة يجب ان ينظر في عينيها...

قاطعته فجأة مايا وقالت له وهي تغادر الحديقة باكية:

ـ آه، رايك، لا تعذب نفسك هكذا. انت تنشغل بأشياء ثانوية الأهمية في هذه المرحلة الصعبة التي تمر بها!

وجدت انجي نفسها وحيدة مع هذا الكئيب الغاضب. وشعرت بأن هذا الرجل الجالس امامها لم يبق فيه من رايك دي زالدو الحقيقي الا الشكل الخارجي فقط هذا اذا لم تؤخذ بعين الاعتبار آثار الاصابة. كان من الصعب ان تصدق بأن هاتين العينين الجميلتين لا تريان الاشياء والألوان.

ـ مايا ما زالت طفلة، ولوالدي اليد الطولى في ذلك. اذ اعتنى بها بطريقة مميزة، ولكن انت... انت انجيلا لقد عملت بين المرضى ويجب ان تتفهمي بعضاً مما اقوله واشعر به. بحق السماء، انا لا اقدر ان اكوّن فكرة عنك الآن، ان ما احتفظ به في مخيلتي عنك هو صورة تلميذة المدرسة الصغيرة. لذلك حتى الآن لم استطع الجمع بين صورتك كتلميذة وصورتك كممرضة. هل تسمحين بأن اتلمس وجهك ويديك لأكوّن فكرة واضحة؟

ردة فعل انجي الفورية كادت ان تكون سلبية، لأنها اعتقدت بأنها لن تستطيع احتمال لمساته لها. بسبب الشعور الذي تكنه له في قلبها.

احس رايك بترددها ولكنه اساء فهمه فقال لها:

ـ هل فكرة ملامسة رجل اعمى لك تثير في نفسك الخوف الى هذه

الدرجة انجيلا؟

ـ لا، ابداً.

ـ اني اتذكر الآن كيف كنت تهربين مني في الماضي وكأنك تخافين من شيء ما. كنت تنظرين الي بدهشة وخوف وكأنني مسعور، ما الذي اتى بك الى هنا ما دمت تكرهينني الى هذا الحد؟

كادت ان تخرج من شفتي انجي صرخة اعتراض، ولكنها كانت اكيدة من انه سيكرهها اذا احس بانها تشفق عليه وسيحتقرها اذا داخله شك في انها تحبه فقالت له بلهجة باردة:

ـ استطيع ان اؤكد لك يا صديقي بأني شاهدت حالات اشد صعوبة من حالتك. الحروق مثلاً وخاصة حروق الاطفال. هذا شيء لم تشاهده انت. لقد اعتدت على كل هذا مع الوقت وكن متأكداً من اني لست متضايقة من رغبتك في تحسس ملامحي.

فرد ساخراً:

ـ كم انت كريمة، ايتها الممرضة، ولكني استطيع الآن ان اتذكر وجهك الخائف ولون عينيك الأسود.

ـ لونهما ليس اسود. انت تتكلم عن فتاة اخرى.

ـ آه، الآن تذكرتك. عيناك بلون البحر بعد الظهر وهما باردتان ونقيتان كالثلج، اليس كذلك؟ اتذكر بأن سيب رسمك مرة ولكنه لم يتمكن من رسم التعبير في عينيك.

لقد تذكرت انجي فورا اللوحة التي رسمها سيب شقيق رايك كما لو كانت بين يديها الآن. كان سيب يريد ان يصبح فناناً، لكنه اصبح مدير افلام سينمائية يعمل اساساً في ايطاليا واحياناً في كاليفورنيا.

ثم تابع قائلاً بلهجة تهكمية:

ـ هل حاول سيب الاتصال بك؟ كنت تفضلينه علي.

ـ كان يناسبني اكثر من ناحية العمر.

لقد قررت ان تدافع عن نفسها فلم تخبره بأن سيب اتصل بها عندما كان في لندن لحضور مؤتمر سينمائي. وتناولا الطعام ثم ذهبا

لحضور احد العروض المسرحية. كان صحيحاً انها اعتبرت سياستيان دائماً اسلس طبعاً واسهل للمعاشرة من رايك. فمعه لم تشعر ابداً بنبضها يتسارع ولا بخجل يعقد لسانها.

قال لها رايك ببطء:

ـ لا تقولي بأنك تحمرين خجلاً الآن؟

ـ ولماذا تعتقد باني ساحمر خجلاً؟

ـ لأن الانكليز لا يحبون ان توجه اليهم اسئلة شخصية من هذا النوع.

ـ اليس الجميع كذلك؟ انا اعرف بأن الاسبانيين متحفظون دوماً بعض الشيء.

ـ بالفعل، فنحن ايضاً ترفض ان يشاركنا احد في مشاعرنا الداخلية. هل تحلمين بأن يشاركك احد في هذه المشاعر، شقيقي سيب مثلاً؟ هل عدت الى الجزيرة على امل اللقاء به؟

ـ انت تعرف تماماً لماذا انا هنا. وتعرف ايضاً بأن سيب الطف منك.

ـ آه طبعاً. هو يعامل النساء بلطافة ونعومة اكثر مني. لقد عرفت هذا وانت يافعة واليوم تأكدت منه وانت ناضجة، اليس كذلك؟

حدقت انجي برايك فبدا لها انه اكبر من سيب بعشر سنوات على الأقل، فيما يكبره فعلاً بثلاث سنوات فقط. فالأيام والاحساس بالخطر والاصابة زادت من صلابة ملامحه. كان يبدو وكأنه تحسس الخطر بيديه، راحت تشعر انجي بنبضات قلبها تتسارع... ان دورها كممرضة لرايك لن يكون سهلاً. انه ليس ناعماً وسهل الانقياد كسيب... كان مصاباً وغاضباً ووحيداً يهيم في ظلام دامس.

وتابع رايك بحزن قائلاً:

ـ ايام لامبالاتنا جميعاً ولت. عندما كنا نلهو في الشمس كم كنا نجهل ما يخبىء لنا القدر. من كان يعتقد بأنه سيحصل لي ما حصل

وبأن انجيلا الصغيرة سوف تأتي للعناية بي؟ ان القدر يخدعنا احياناً بقساوة اليس كذلك؟

ان خدع القدر تكون احياناً قاسية ومؤلمة جداً ولذا حاولت انجي ان تحبس دموعها لئلا تظهر بمظهر ضعيف. ان الذكريات عن رايك لم يكن بالامكان نسيانها بسهولة.

ـ انجي، عودي من حيث اتيت، انا اشعر بأنك تغالبين نفسك للبقاء هنا. بالرغم من اني لا ارى فأنا اشعر بذلك. غادري الجزيرة بحق الله.

ـ ما ادراك انت بحقيقة ما ارغب فيه؟

بدا ان ملاحظته الجافة قد جرحت كبرياءها.

ـ اليست كل النساء متشابهات الاطباع اساساً؟ وتابع بسخرية كعادته، الا تريد المرأة شيئاً واحداً وهو الحب الرومنطيقي الابدي، الا تريد شخصاً يكون سيداً وحبيباً؟ هل انت مختلفة، ام ان الممرضات يشهدن الكثير من المآسي بحيث يصبحن بمنأى عن هذا الشعور؟ ام ان الواقعية المهنية تلعب دورها وتلطخ رومانسية الطبع النسائي؟

كان هذا الموضوع بالذات يشغل بال انجي ابان عودتها الى بايلتار، ولكنها الآن اصبحت في الفيللا وجهاً لوجه مع رايك وشعرت فعلاً بانها ما زالت تحبه. بما ان قلبها قد كبر مثل جسمها فانها اصبحت ناضجة المشاعر ومتأكدة منها اكثر من ذي قبل.

اجابته قائلة:

ـ ان امكانية الشفاء من الجروح ومن المشاعر هائلة. لذا ساحاول الا اهتم كثيراً حين تحاول ان تسخر مني. من ناحية اخرى قالت لي مايا بأنك لا تتناول طعامك مع العائلة.

ـ انا لست مهتماً بأن ادعهم يشاهدونني حين اوسخ ملابسي من جراء تناولي الطعام دون ان اراه. ان اصابة مثل اصابتي تحول الرجل الى ولد صغير. بعد محاولتي الثانية للجلوس معهم الى طاولة الطعام

وحين اوقعت الحساء على ملابسي خطأً وجدت انه من الافضل لي ان آكل وحيداً.

- انا متأكدة بأنك مع الوقت سوف تكون اكثر ايجابية، وتابعت بنعومة، انا اعرف تماماً ان عائلتك تفهم جيداً سبب تصرفاتك. انت تعلم، بدون شك، بأنهم يتألمون معك.

- اتظنين بأني لم الاحظ هذا الأمر. لم اكن ارغب في العودة الى المنزل لكن والدي اصر على هذا. كنت افضل البقاء في مستشفى عسكري حتى اصبح اكثر قدرة، لكنه لم يكن ليصغي الي. سافر الى اسبانيا وعاد بي بنفسه الى المنزل. يا الهي، انه رجل خارق.

- تماماً، ولأنك تشبهه، لن تسمح للعمى بالتحول الى عجز.

- وهل هو غير ذلك؟ قالها بفظاظة، يبدو وكأن الجدران قد اطبقت علي ولم يعد باستطاعتي تلمّس طريقي الى الخارج. اضيفي الى ذلك اني لست اعمى فحسب بل ومصاب ايضاً بشظايا قنبلة في الرأس. ماذا ستفعلين اذا بدأت اتصرف بعنف واحطم الاشياء من حولي؟

- كف عن هذا الكلام، لن يحصل شيء من هذا القبيل.

- الا يهمك ان تسمعي الحقيقة؟ وتابع زاجراً، لو اصبت فجأة بنوبة عصبية وحاولت ان اخنقك بيدي، ماذا ستفعلين؟ يقال انه عندما يصاب شخص ما بنوبة عصبية فانه يحاول الاعتداء اولاً على من ساعده.

- انت تتفوه بكلام لا معنى له فقط من اجل اخافتي.

وراحت تقول في قرارة نفسها: يا الهي، ماذا لو تحركت بعض الشظايا في رأسه. انه يعيش في رعب مدمر خوفاً من جنون مفاجيء او موت مفاجيء. لم يكن غبياً كيلا يلاحظ هذا الخطر، وكان بامكانها التأكد من هذا الأمر بمجرد النظر في عينيه ففيهما تلاحظ، ولا شك، قلقه على المصير.

- اني لا اخيفك بل اخيف نفسي يا انجيلا.

ولم يكد ينتهي من عبارته حتى وقع رماد السيغاريللو على جاكيته السوداء فخافت انجي ان تحترق الجاكيت فأسرعت ورمت بالرماد في المنفضة على الطاولة قربه فقال لها:

- شكراً جزيلاً.

ثم امسك بها وراح يجذبها نحوه فمانعت قائلة:

- لا، ارجوك.

- اتخافين من رجل اعمى؟ انا اشعر بهذا، انت ترتجفين. بحق الله لماذا عدت الى بايلتار؟ هل هي حشرية منك ام ولاء لعائلتنا في غير موضعه؟ ام تراه يكون الضجر من العمل في لندن؟

- انت سليط اللسان يا رايك.

كانت تقاوم من اجل التخلص منه، لكنه كان اقوى منها بكثير بالاضافة الى ان قربها منه ولمسته لها قد حدّا من قواها.

- ربما ينعشني عناق منك يا انجي.

فجأة التقيا في عناق بدا طويلاً لانجي لدرجة احست بتلاشي انفاسها. فجأة دفعها رايك عنه وانفجر ضاحكاً فتراجعت ونظرت اليه وآثار الصدمة بادية على وجهها. قطع ضحكته فجأة وبادرها بالقول:

- اصبحت تعرفين الآن ماذا ينتظرك هنا لو اصريت على البقاء.

كان التهديد واضحاً في نبراته وهو يحدق فيها كمن يستطيع الرؤية.

- انت لست اول مريض متمرد اتعامل معه.

فاجابها بسخرية:

- متمرد؟ انت تستعملين كلمة كبيرة.

- لست متمرداً فقط بل عنيداً ايضاً.

- والممرضة العزيزة تتصور ان بامكانها ترويضي.

- ان لم استطع ترويضك فسأحاول، على الأقل، ان اجد طريقة للتعامل معك.

- تتعاملين معي بعصا، اليس كذلك؟ وتابع وقد اعجبته الفكرة، اني اتصورك واقفة فوقي وحاملة العصا. في الحقيقة انا افضل هذه الصورة على تلك التي تحاول فيها الممرضة ان توهم مريضاً اعمى بانه سيستفيد من ضوء الشمس. اخبريني انجي ما لم يجرؤ غيرك على التفوه به. . . قولي لي باني سابقى في الظلام حتى نهاية ايامي.

رغبت انجي من كل قلبها ان تقول له بانه لن يبقى في الظلام حتى نهاية ايامه. كانت تريد، كالجميع، ان تقول له ان القضية قضية وقت قبل ان يستعيد بصره ولكن للأسف لم يكن هذا ممكناً.

- لم اتكلم بعد عن حالتك مع الدكتور رومالدو لذلك انا اجهل التفاصيل حتى الآن. انا اعرف ان معجزات يمكن ان تحصل لو تسلّح الانسان بالايمان. ثم هناك اشياء اسوأ من فقدان البصر. . .

فقاطعها قائلاً:

- تماماً، هناك الجنون، هذا الذي يحول الانسان العاقل الى حيوان، اليس كذلك؟

- نعم، لكني كنت اقصد. . .

كان يسكن رايك دي زالدو هاجس دائم من ان تكون احدى الشظايا قد اصابت دماغه بتلف يؤدي به يوماً ما الى الجنون. وانجي تعرف تماماً بانه يفضل الموت على الجنون.

استوى في جلسته على الكرسي في الحديقة وقال:

- اذن لقد عدت الى بايلتار للعناية بي.

- بالتأكيد، فأنا لن اسمح لك بأن تعيش كهاملت، بين اشباحك.

- سوف افعل ما اريده تماماً، وكما قلت لك منذ قليل، افضل ان تعودي الى لندن. كل ما اريده هو ان تتركوني بسلام.

- لم اعلم ابداً انك تخاف من المواجهة، ظننتك تؤمن بالقول المأثور:

وما نيل المطالب بالتمني   ولكن تؤخذ الدنيا غلابا.

أشار باصبعه الى عينيه وقال:

- ان الذي يجرؤ هو الذي يخسر في الواقع يا صديقتي.

- لم تخسر كل شيء، وتابعت معترضة، انت ما زلت تتمتع بحواسك الباقية، وعليك ان تستعملها بأقصى طاقة ممكنة.

- انت تعرفين ان المسألة ليست فقط مسألة فقدان النظر.

- اعلم يا رايك وانا اقدّر حقيقة شعورك.

- احقا؟ انت شابة وصحتك جيدة. لا تسهرين الليل وتحصين الدقائق وهي تمر.

فامسكت بيده وقالت له:

- يا صديقي، انت لست وحدك. باستطاعتك دعوتي في الليل او في النهار سآتي اليك. اعطيك يديّ لتتمسك بهما.

- فقط يديك؟ ارجوك اريحيني من شفقتك!

- انا لا اشفق عليك.

- هل انت جادة؟

- كنت دائماً شديدة المفاخرة يا رايك.

- لا تنسي ان دماء اسبانية تجري في عروقي. انظري، سوف تجدين زجاجة وقدحاً على المائدة قرب الكرسي. ناوليني اياها لو سمحت.

امسكت انجي بالزجاجة وقرأت ما كتب عليها فاذا بها تحوي شراباً اسبانياً قوياً. وما ان طال انتظاره حتى بادرها بالقول:

- لقد طلبت ان تملأي لي قدحاً لا ملعقة. هذا ليس عقاراً طبياً.

- ان الشرب لم يحل ابداً اي مشكلة.

قالت له هذا وهي تناوله القدح وتتأمل الطريقة التي يتحسسه بها.

- قد لا يحل المشاكل ولكنه يساعدنا على الحياة معها.

- علي ان اذهب وأفك حقائبي. اراك لاحقاً.

- بدون شك، وتابع بعد ان اخذ جرعة، انا لست ذاهباً الى اي مكان الا الى القبر ربما.

- رايك . . .
- بلا مواعظ، ارجوك. اذهبي الى حقائبك.
فغادرت تاركة رايك وحيداً في الحديقة.

٢ - ربما يؤذيها!

تركت انجي رايك وحيداً مع افكاره وكأس الشراب. كانت تشعر برعشة في داخلها من جراء هذه المقابلة وبسبب عناقه لها. توقفت فجأة لتتأمل لوحة زيتية كبيرة معلقة على الحائط بشرود ظاهر. وفيها افكارها تسرح بعيداً، راحت تتساءل عن السبب الذي دعاها لمقاومة رايك رغم مشاعرها نحوه. بعد لحظات عرفت الجواب: لم يعانقها رايك لانه يحبها بل لانه اراد ان ينذرها بأنه من الأفضل لها ان تغادر الفيللا وتعود الى لندن. لكنه لم يكن يعلم بأنها اكثر منه عناداً رغم به.

- هل لي ان ادلّك الى غرفتك.

انتفضت انجي فجأة لدى سماعها هذا الصوت، واستدارت

لتواجه صاحبته فاذا بها وجهاً لوجه مع امرأة شابة عرفتها فجأة. انها ايزابيل فراندوس التي تربطها بآل دي زالدو قرابة بعيدة والتي تبنتها هذه العائلة فيما بعد. بل تكاد تكون شقيقة لمايا واخويها. الا ان انجي تعتقد ان ايزابيل هذه تفضل ان تكون اكثر قرباً من رايك.

كل هذا كان ينتمي الى الماضي. اما الآن، وبعد اصابة رايك فان الأمور تغيرت بلا شك. ان ايزابيل من النوع البارد الذي يحسب لكل شيء حسابه وكان من الصعب القول بأنها ترغب في زوج اعمى يعتمد على حمايتها في كثير من النواحي.

ظهرت على ثغر ايزابيل ابتسامة لم تكن ودية تماماً وقالت لانجي:

- هل نسيتني؟ انا اتذكركِ جيداً... لا يزال شعرك على جماله القديم، الا اذا كنت تستعينين بصباغ للحفاظ على لونه الأشقر.

- لحسن الحظ، ليس علي ان اهتم بالصباغ. لم يزل على لونه الطبيعي.

- اذن اصبحت ممرضة. في الواقع لقد فوجئت، لعلمي ان اعصابك قد لا تحتمل المهنة. كنت تبدين دائماً خجولة، وهذه صفة كانت تسلي رايك. الم تقابليه بعد؟

اومأت انجي بالايجاب ولم تكن ترغب في النقاش مع ايزابيل حول هذا الموضوع فتوجهت نحو السلم المؤدي الى الطابق العلوي وهي تقول لها:

- علي ان اصعد واستعد للعشاء. هل طلبت مايا ان تجهز لي غرفتي القديمة؟

- لا، لقد اقنعت دون كارلوس بأنه من الأفضل ان تكوني قرب رايك فلربما احتاج لشيء اثناء الليل. لذا اعدت لك الغرفة الملاصقة لغرفته اتمنى الا يزعجك قربك منه... هذا اذا كان لا يزال يربكك ويجعلك تشعرين بالخجل!

- سيكون سخيفاً ان تشعر ممرضة بالخجل.

شعرت بأن ايزابيل تتعقبها بنظراتها فاستدارت وقالت لها:

- اذا كان رايك لا يزال ينام في الغرفة التي تطل على البحر فأنا اعرف طريقي.

اجابتها ايزابيل وفي صوتها بعض السخرية:

- ومنذ متى كنت تدخلين غرفة نوم رايك؟

- كنا لا نزال جميعاً في المدرسة عندما كنت آتي الى هنا ايام العطل. وكان الدخول والخروج الى كل غرف النوم في المنزل لعبة بريئة في تلك الأيام.

- انا لا اشك بأن هذا ما كنت تفكرين به يومذاك... قلت بانك قابلته، كيف وجدته؟

وقفت انجي في ممشى الطابق العلوي للفيلا وراحت تحدق بايزابيل وهي تحاول اخفاء غضبها، فلقد بدأت هذه الفتاة بالمشاكل كعادتها. ورغم هذا اجابتها على سؤالها:

- لقد مر رايك بظروف مؤلمة وحرجة وسأقوم بكل ما في وسعي لمساعدته على الشفاء. انا اعرف بانه اصبح صعب المراس وحاد الطباع. لكنني معتادة من خلال مهنتي على التعامل مع هذا النوع من الرجال. انه لا يثير غضبي ولا يخيفني.

كانت ايزابيل تراقب ردة فعل انجي كما يراقب القط الفأر:

- اسراعك بالمجيء الى بابلتار للعناية برايك يثير حيرتي في الحقيقة. هل تكون انسانيتك كممرضة هي التي عادت بك الى هنا ام ان في الأمر سراً لا اعرفه؟

- لقد اتيت لأن مايا ووالدها طلبا مني ذلك. دون كارلوس كان دائماً لطيفاً معي ورغبت في ان أرد له جميله وضيافته لي في الفترة الماضية.

تابعت انجي طريقها عبر الممشى الى غرفتها. لكن ايزابيل تبعتها الى داخل الغرفة المخصصة لها، والتي لا يفصلها سوى حائط واحد عن غرفة رايك.

اضاءت انجي النور في الغرفة وما ان دخلتها حتى اشتمت رائحة

العطر الفواحة ممتزجة برائحة المفروشات. كانت غرفة رائعة، كلاسيكية التصميم، لامعة الاثاث وارضها مفروشة بسجاد سميك ملون. استدارت فوجدت حقيبتها في احدى الزوايا حيث وضعها احد الخدم.

عادت البسمة والحبور الى انجي. ها هي ثانية في المنزل الذي كان يجمعها ورايك في الأيام الخوالي. رغم كل الصعاب التي تنتظرها، لم تكن انجي لتتخلى عن مهمتها الحالية مقابل اي شيء في الدنيا.

استندت ايزابيل الى حافة السرير وراحت تراقب انجي وهي تفك الحقيبة التي لم تضع فيها الا ثياباً تكفيها للاستعمال الفوري فالجزيرة مليئة بالمحلات ويمكنها ساعة تشاء الذهاب للتسوق في حال احتاجت الى شيء. كانت من وقت الى اخر تلمح ايزابيل وهي تراقبها اثناء تعليقها لملابسها في الخزانة. تأملت ايزابيل قبعة التمريض المنشاة التي وضعتها انجي على السرير بجانب الثوب الكحلي وبادرتها بالقول:

ـ اتصور بأنك ستلبسين لباس الممرضات في اغلب الأحيان؟

ـ بطبيعة الحال، لأنني هنا في مهمة وظيفية.

ـ كم تبدين متفانية. كنت اظن ان الممرضات يقضين اوقاتهن بعقد اللقاءات مع الاطباء ومع المرضى الذكور الذين يقعون في حبائلهن.

ـ هذه الاشياء تحدث غالباً في المسلسلات التلفزيونية دون ان يكون لها اي اساس واقعي، وتابعت وهي ترتب ادوات زينتها، اما في مهنة التمريض الحقيقية فان هذه الصور الجمالية غير موجودة. ليس هناك وقت لقصص الغرام مع الاطباء السمر الذين نراهم في المجلات.

ـ ان رايك ليس طبيباً، لكنه بالتأكيد طويل القامة، اسمر اللون وجذاب الملامح، وتابعت وهي تحدق بها، لقد لاحظت هذا، اليس

كذلك؟

فاجابتها ببرود وبدون اكتراث:

ـ بالتأكيد. اذ اكثر ما يلفت النظر فيه هو عيناه ولونهما، واردفت، بالطبع انا لا اقصد وضعهما الحالي.

ـ هل من المحتمل ان . . . ان تكون حالة العينين الحالية نهائية؟

ـ في الحقيقة لم اناقش هذا الموضوع بعد مع الدكتور رومالدو.

كانت انجي في هذه الاثناء تضع فرشاة الشعر والمشط على طاولة الزينة ونظرت الى المرآة فلاحظت ان وجهها يبدو متوتراً. وهذه اشارة خارجية ودليل على اهتمامها برايك. لقد تمنت لو كانت ايزابيل خارج الغرفة، ولكن الفتاة الاسبانية كانت فضولية وعازمة على معرفة السبب الحقيقي الكامن وراء عودة انجي الى الجزيرة.

ـ تبدين لي كتومة كجميع الذين يعملون في الحقل الطبي، الست كذلك؟

ثم تابعت وهي تهز كتفيها غير مبالية:

ـ ان دون كارلوس وراء مجيئك الى هنا. لا تعتقدي ابداً بأن رايك من طلب حضورك.

رفعت انجي شعرها الاشقر المنسدل على جبينها:

ـ هذا آخر ما كنت اتصوره.

ـ يبدو لي من جوابك بأن رايك فعلاً غير مسرور من دعوة دون كارلوس لك للعودة.

ـ رايك ناقم على العالم كله في الوقت الحاضر.

ـ اذن ابتدأ بازعاجك منذ البداية. الحمدلله اني لم اختر هذه المهنة.

وارتسمت على شفتي ايزابيل ابتسامة صفراوية هازئة تدل على سرورها من ازعاج رايك لانجي. هذه الاخيرة لم تفاجأ، في الواقع، لأنها على علم بغيرة ايزابيل المزمنة.

كانت عينا ايزابيل تجولان في الغرفة فتسمرتا فجأة على الباب

الذي يفصل بينها وبين غرفة رايك:

ـ دون كارلوس لا يسمح لي ولمايا بالعمل خارجاً. انه غني ويأخذ في الاعتبار مركزه كحاكم للجزيرة، اضيفي الى ذلك انه يريدنا ويسر بوجودنا في المنزل على الدوام. ومن المثير للاعجاب في الرجال اللاتينيين حمايتهم للمرأة. كوني لاتينية لا اعترض على هذا الامر بخلاف الانكليزيات كما يبدو. ان الرجل في نظري هو الاقوى والأكثر اهلية لتبوّء القيادة. انا اعتقد بأن المرأة التي لا ترغب في حماية الرجل لها هي امرأة قصيرة النظر، هل انت واحدة منهن، انجيلا؟ هل انت من النوع الذي يظن بانه ليس في حاجة لحماية الرجل له؟

اقفلت انجي حقيبتها بعد ان افرغتها والقت بها في قعر الخزانة واستدارت مجيبة:

ـ في الحقيقة انا اعتقد بأن الرجل والمرأة خلقا ليكونا متساويين على كل صعيد وصديقين ايضاً. لا ان يكون احدهما سيداً والآخر عبداً.

سارت ايزابيل نحو طاولة الزينة واخذت تحدق، عبر المرآة، في وجه انجي محاولة ان تقرأ التعابير التي يمكن ان ترتسم عليه. وضعت اصبعاً على شفتها السفلى وتبسمت بازدراء قائلة:

ـ اذن انت ترفضين ان يسيطر عليك احد، لنقل مثلاً، دون كارلوس؟

ـ مما لا شك فيه ان دون كارلوس هو انسان نبيل. لكن حتى هو لن يستطيع ان يقنعني بأنه من الخير للمرأة ان تحفظ في اناء زجاجي بحيث لا يراها الا ضوء الشمس.

ـ احقاً؟ انت تتكلمين بشكل يوحي بأنك تعنين ما تقولين. اما انا فمقتنعة بأن اية امرأة ترغب في ان تكون بحماية رجل. والرجال اللاتينيون يجيدون ذلك.

ـ انا متأكدة انهم كذلك.

ـ انجيلا، اما زلت بتولا؟

لقد كان السؤال بحد ذاته غير متوقع ومربكاً نوعاً ما لدرجة جعل

انجي تحمر خجلاً. لقد شعرت بالاحراج والغضب في الوقت نفسه. شعرت بالاحراج بسبب ردة فعلها على السؤال وشعرت بالغضب بسبب نظرة ايزابيل الساخرة التي رافقته. برغم مهنتها كممرضة، هذه المهنة التي كشفت لها كل اسرار جسم الانسان وبرغم علاقتها اليوم مع هذا الجسم، لقد حافظت انجي على نفسها وسمعتها. لم يتمكن احد من ان يغرر بها رغم ان الظروف سنحت ولعدد كبير من الرجال بحكم ظروف مهنتها. وهي تتساءل الآن هل فعلت هذا من اجل رايك؟ لانه كان دائماً في عقلها وقلبها؟ ام لأسباب اخرى تتعلق بتربيتها واخلاقيتها؟

انتابت ايزابيل نوبة من الضحك لأنه لم يفتها ان ترى الاحمرار على وجنتي انجي. تحسست بيدها المخمل الاخضر على ردائها، وقالت لانجي:

ـ منذ صغرك كنت غريبة الاطوار وها انا اراك الآن لم تتبدلي. هذا اذا استثنينا مظهرك الخارجي. انا متأكدة من انك عدت الى بايلتار فقط من اجل رايك، رغم انه لا يهتم بوجودك هنا.

وتقدمت الفتاة الاسبانية نحو انجي التي لاحظت نبرة تهديد في صوتها وتابعت كلامها قائلة:

ـ قد يكون رايك اعمى ولكنه ليس غبياً بالتأكيد. فالافضل ان تكوني حذرة في تصرفاتك معه لئلا يعرف مشاعرك تجاهه.

احست انجي بأن قلبها يكاد يتوقف عن الخفقان وقالت وهي تحدق في عيني ايزابيل:

ـ اشعر بأني مسؤولة عنه كما مايا ووالده. لا تنسي انه ابن دون كارلوس، الرجل الذي فتح منزله لي عندما كنت يافعة ودون اهل. انا اتذكر طيبته وحسن معاملته لي بعرفان جميل ولذا انا هنا. اكون شديدة الامتنان يا ايزابيل، لو احتفظت بآرائك السخيفة لنفسك. وفي كل الأحوال، انا لا انصحك بمناقشة هذه الأمور مع رايك، لانه سيعتبر تصرفك هذا تصرفاً عدوانياً تجاهه.

- عدوانياً؟ وتابعت صارخة، لماذا؟

- انت تعرفين السبب. ان رايك يعتقد بانه اصبح موضوع شفقة وسوف تكون مهمتي في المرحلة الأولى هي كسب ثقته. ان هذه المهمة هي اساساً صعبة فهو لا يزال حساساً تجاه الجميع لذلك اطلب منك الا تحرضيه علي لأتمكن من اداء عملي. انه بحاجة لمساعدة وعناية خاصة، كالتي استطيع ان اقدمها له. لذلك اجد لزاماً علي ان اطلب منك بالاحتفاظ بتلميحاتك لنفسك، لأن افكارك لا اساس لها من الصحة.

فأجابتها بسخرية وهي تغادر الغرفة:

- اذا كان هذا يسرك، فلا بأس لكنني متأكدة من انك تهيمين به. والا فلماذا عدت بالطائرة من لندن لتكوني بجانبه في ساعاته العصيبة...

وما ان وصلت الى الباب حتى استدارت بعصبية وفي عينيها مزيج من الكراهية والوقاحة وقالت بنبرة حادة:

- سأسهل عليك مهمتك واقول لك ما الذي يحتاج اليه رايك، يا عزيزتي. انه بالتأكيد لا يحتاج الى ملاك حارس في ثوب ابيض ليمسك بيده ويهدىء من روعه. سوف تنامين في هذه الغرفة فلا تصدمي اذا اتاك في احدى الليالي واعلمك بحاجته الحقيقية. انت ممرضة وما زلت تنظرين الي حتى هذه اللحظة بطريقة باردة وبريئة. ان رايك بحاجة الى شخص يضمه بذراعيه ويبعده عن الواقع. هناك شيء اساسي في الحب، انجيلا، انه يلغي علاقة الانسان بالواقع. انت تعرفين هذا، اليس كذلك؟

- اتعرفينه انت؟

ضحكت ايزابيل بنعومة واجابت:

- بالتأكيد. انت كنت تأتين لتمضية العطل هنا، اما انا فقد نشأت في هذا المنزل. لذا يمكنك ان تتصوري الباقي. ان رايك كما تعلمين، كان دائماً جذاباً.

قالت هذا الكلام وخرجت من الغرفة وهي تهز كتفيها.

راحت انجي تفكر بما قالته ايزابيل، فبدا لها للوهلة الأولى ان تحليل الاسبانية منطقي خاصة عندما تكلمت عما قد يحدث في احدى الليالي بينها وبين رايك. بالاضافة الى ذلك كانت تعلم جيداً بأن رايك لم يحاول ابداً التقرب منها.

طردت انجي كل الافكار السوداء من رأسها. فقد قررت ان تبقى هنا وما من شيء سيثنيها عن رأيها، لا عدوانية رايك، ولا تلميحات ايزابيل. ان مجرد التفكير بأن ايزابيل قد تكون على علاقة مع رايك اقلق انجي. ربما تكون هذه العلاقة المفترضة هي السبب في غضب ايزابيل من عودة انجي للعناية برايك. تنهدت انجي وهي تفكر، مسكين رايك، كان يعيش كل يوم اربعاً وعشرين ساعة في الظلام، وحيداً ومنطوياً على ذاته لانه لم يكن باستطاعته التعاطي مع الناس بشكل طبيعي. والنظر اليهم. لا شك في ان هناك اوقاتاً يشعر فيها بضرورة مشاركة مشاعره الدفينة مع شخص آخر، يحيطه بذراعيه ويدفن رأسه في صدره لينسى واقعه المرير. توجهت انجي الى الحمام وهي مشوشة الافكار. ومتسائلة عن السبب الذي دفع برايك الى دخول الجيش. كانت تتمنى ان تراه مرتدياً بزته العسكرية.

دخلت انجي الى الحمام ورأسها يضج بالافكار السوداء المحزنة. فتحت حنفية الماء الساخن، وسرعان ما انتشر البخار في كل ارجاء الحمام الواسع. كم يكون القدر ظالماً عندما يسرق الفرح والآمال والاحلام من عيون الشباب كما يسرق الذئب خراف الراعي.

انسابت المياه الساخنة في المغطس الكبير. وضعت انجي حفنة من الملح في الماء واستدارت لتخلع ملابسها. ما ان فاض المغطس بالماء حتى استلقت فيه واسندت رأسها الى حافته المغطاة بالمطاط خصيصاً لهذه الغاية. لم تكف عن التفكير برايك وبالطريقة التي عانقها فيها وتذكرت بفرح كيف ضمها بين ذراعيه. ان الدموع التي حبستها

طويلاً طفرت فجأة والألم كاد يعصرها مما يقاسيه رايك فأجهشت
بالبكاء وهي في غرفة الحمام. وبقيت على هذه الحال لبضع دقائق.
ولم يكن يهمها ان تحمر عيناها رغم ان هذا الاحمرار سيكون ظاهراً لمن
ستشاركهم طعام العشاء الليلة.

غسلت انجي وجهها بالماء وقالت لنفسها: كفى، كم انا غبية
لاتصرف هكذا. لقد قررت، فجأة ان تحتفظ بمشاعرها تجاه رايك
لنفسها.

لم تكن انجي تحب ايزابيل لأن هذه الأخيرة كانت تثير الشغب منذ
الصغر، وهي وراء كل المشاكل وسوء التفاهم التي حصلت من وقت
لآخر بين دون كارلوس واولاده. ولم تنس انجي ايضاً تصرفاتها تجاه
مايا ولا عادتها باقتراض اغراضها وعدم اعادتها.

خرجت انجي من المغطس وارتدت روب الحمام. مسحت المرآة
بقطعة قماش ووقفت امامها تتأمل نفسها. بدت آثار البكاء على
عينيها ولكنها افترضت ان قليلاً من الزينة سوف تخفيها.

فتحت الباب وخرجت دون ان تنظر امامها، فاصطدمت
بشخص طويل القامة يحمل بيده عصاه. فتراجعت نحو الحائط
وقالت:

- رايك... انا... انا لم اركَ!

فتلمسها بعصاه واجاب:

- كان عليَ انا ان اقول هذا! انا اشتمّ رائحة املاح الاستحمام
خاصتي، يبدو لي انك استعملتها.

قالت وهي لا تزال ترتجف:

- لم اكن اعلم انها لك. لقد وجدت الزجاجة على احد الرفوف
فاستعملتها.

كان ينظر اليها وهو مقطب الجبين كمن يستطيع ان يراها، لدرجة
جعلت انجي تضم طرفي روبها الى صدرها خوفاً في حركة لا شعورية
فيما كان يقول لها وهو يزم شفتيه:

- لقد بدأت تتصرفين، وكأنك في منزلك؟

ثم استطرد قائلاً:

- اسمع حفيف الحرير على بشرتك. لقد استحميت للتو وانت لا
ترتدين سوى روب الحمام. انا لا اراك وبالتالي لا استطيع ان اعرف
ان كنت تحمرين خجلاً لكنني احاول ان اتخيل صورتك في ذاكرتي:
شعرك المبتل بالماء ينسدل على عينيك وانت تعقدين الآن عقدة
اضافية في حزام الروب. يجب ان تكوني ذات اخلاق محافظة
لتشعري بضرورة التستر امام رجل اعمى.

- اني... اني لم اعتد على... على حالتك الحاضرة.

فقاطعها مصححاً:

- لم تتعودي على اني اعمى كخفاش. اصبح لزاماً علي ان استعمل
حواس السمع والشم، والذاكرة فيما يختص بالنساء. ما هو لون
الروب؟

- وردي غامق.

- هل له اكمام واسعة تكشف عن ساعديك حين تسرحين
شعرك؟

- تماماً.

كانت عيناها مسلطتان على وجهه تتأمل ملامحه. بدأ يتقدم نحوها
فأخذت تتنازعها رغبتان: رغبة في الهرب منه ورغبة في البقاء.
راحت يده تتلمس طريقها اليها فلم تتحرك عندما امسك بكتفها
وشد بأصابعه قائلاً:

- سوف اتحسسك عن طريق اللمس شئت ام ابيت.

وفيما هو يفعل بقيت واقفة مكانها، فقال:

- انت تتفقين معي على انه ليس من العدل في شيء ان تريني انت
بينما انا اعيش في الظلام. عندما رأيتك للمرة الأخيرة كنت طفلة.

- اذن من الأفضل ان تنتهي بسرعة من هذا الموضوع.

لم تشعر انجي بضعف مماثل في حياتها. كانت غير قادرة على

مقاومته فيما هو يتلمسها. فجأة دفعها نحو الحائط واقترب ليعانقها فانتفضت قائلة:

- هذا يكفي. هل تفعل الشيء نفسه في كل مرة ترغب فيها بتحسس شخص ما؟

- من يعلم؟ فقط لو لم اكن اعمى.

فقالت له، وهي تعيد ترتيب هندامها:

- الى ماذا تلمح الآن؟

- استطيع ان افهم رفضك، انها المرة الثانية، اليس كذلك؟ وتابع بلفه الأسى، اية فتاة ترغب بعناق رجل اعمى؟

ونزل كلامه عليها كالصاعقة فقالت:

- رايك! كيف يمكنك ان تتفوه بكلمات كهذه؟

استدار رايك على نفسه في هذه الاثناء فأصبح يواجه السلم بدلاً من باب غرفته، وعقب على كلامها قائلاً:

- اتفوه بها بسهولة بالغة! يا الهي! يبدو انني قد ضللت طريقي، هل يمكنك ان ترشديني الى غرفتي، ايتها الممرضة؟

- بالطبع، وبكل سرور.

التقطت انجي العصا التي وقعت منه عندما امسك بها ووضعت يدها على ذراعه وسارت به الى الغرفة. فتحت الباب واضاءت النور فوراً. وما ان سمع رايك الصوت الصادر عن مفتاح الكهرباء حتى بادرها بالقول بلهجة ساخرة:

- انا لست بحاجة الى الضوء، الا اذا كنت تفكرين بالانضمام الي.

- كانت حركة لا شعورية مني. هل ستكون بخير وحدك؟ علي ان ارتدي ملابسي للعشاء. على فكرة، لماذا لا تنزل وتتناول العشاء مع العائلة؟

- افضل ان ابقى وحيداً.

وسار الى داخل الغرفة التي كان وسطها فارغاً من الاثاث الموضوع

بترتيب وعناية في جوانب الغرفة لئلا يتعثر به اثناء سيره. كان السرير يحتل مساحة كبيرة بين النافذتين المطلتين على البحر الذي اشتمت انجي رائحته فور دخولها. تكهنت انه في هدأة الليل يستطيع الساكن في هذه الغرفة ان يسمع هدير البحر بوضوح. فرايك، دون شك، يستلقي على سريره في الظلام ويستمع الى صوت الموج وهو يتكسر على الصخر بحرية بينما يكبله هو فقدان البصر.

كم يجب ان يكون شعوره بالحرمان قاسياً ومراً... كم تزعج المرء عينان لا ينفذ الضوء اليهما... والضوء هو لون الأمل المشرق.

- لا تبتعد عن الذين يحبونك. انت تعرف مدى اهتمام العائلة بأمرك.

اجابها بسرعة كمن حضر جوابه على هذا السؤال:

- انا اكيد بأنهم يشفقون علي. ان اكثر الناس، رغم نواياهم الحسنة، يصلون الى مرحلة معينة او وقت معين لا يعود بمقدورهم بعده احتمال ذوي العاهات بينهم، ان مسيرة الحياة تتابع طريقها وهي، بدون شك، لا تحتمل الذين يقفون مترددين في هذه الطريق. لقد اثبت لي بنفسك ولمرتين اليوم، بأن ذوي العاهات هم اشخاص مزعجون، وانا لا الومك على ردة فعلك هذه،انت هنا لأن والدي ارادك ان تكوني، هل هذا مفهوم؟ اتمنى الا تندمي على عودتك الينا فانت لم تعودي في عطلة، المدرسة انتهت بالنسبة اليك واللهو انتهى بالنسبة الي.

- ارجوك رايك، لا تتكلم كشخص انهزامي. انا اعلم انك عانيت الامرين واعلم انه ليس من السهل علي ان افهم ما يشعر به من لا يقدر على الرؤية. لكن هناك شيئاً هاماً ما زلت محافظاً عليه: قوتك الجسدية.

- حتى متى؟ كم يستطيع الانسان ان يصمد قبل ان يفقد عقله؟ انت ممرضة، اخبريني ان كنت تجرؤين؟

- انت منزو على نفسك وبعيد عن الناس وهذا مما يزيد من سوء

حالتك النفسية. عليك ان تخرج وتعود الى الحياة ولو بخطى بطيئة في البداية. الا تخرج من البيت ابداً؟ الم تذهب الى المدينة منذ عودتك الى هنا؟

- اطلاقاً. وانا لا انوي الذهاب والانخراط بالجموع والعصا في يدي. انا اعي ما سيفكر به الناس. عندما يراني احدهم سيقول في قرارة نفسه: ايها المسكين، انا اشعر بالأسى لاجله، كل ما ارجوه هو ان يبقى بعيداً عني. نعم يا انجي، هذا ما سيقولونه عني. سيظنونني انقل مرضاً معدياً!

واعترضت، قائلة بحدة:

- هذا هراء!

- هراء؟ اهو كذلك حقاً؟ وتابع بقساوة، عندما لمستك الليلة كنت ترتجفين كمن اصابها البرص. اذهبي وارتدي ملابسك. هيا، يجب ان تكوني حاضرة على العشاء. لو كان لديك ذرة من المنطق لعدت بالطائرة فوراً الى انكلترا. لم يكن لمايا الحق بأن تأتي بك الى هنا وترميك رمياً في هذه المهمة المعقدة. انا اعرف ماذا اصبحت واعرف كيف اصبح شكلي الخارجي. اشعر بالندوب في وجهي.

- ان هذه الندوب ليست بشعة الى هذه الدرجة. ان عملية جراحية صغيرة ستفعل المعجزات و...

فقاطعها:

- وتجعل من الوحش اميراً رائعاً. اسرعي يا صغيرة والا تأخرت على العشاء.

- انا لست صغيرة يا رايك.

- انا اتذكرك هكذا وذاكرتي لا تزال سليمة.

- لقد تحسستني للتو وهذا لا شك جعلك تكوّن فكرة عما انا عليه الآن. لقد كبرت.

- عندما تحسستك عرفت ما كنت اريد ان اعرفه. عرفت انه عندما يلمس رجل اعمى فتاة ما، لن تكون هذه الاخيرة مسرورة

بالتأكيد بسبب طريقته الفظة معها. لذلك، لا تستبقي معاملتي كمجنون، وهذا امر ايتها الممرضة!

- لا تتصرف كانسان متسلط لاني لا اطيق هذا النوع من الاشخاص!

- لا تظني باني اهتم بسماع رأيك عني. ولا تدخلي في رأسك باني عانقتك منذ لحظات لاني اكن لك شعوراً ما. انت لم تكوني ابداً من النوع المفضل لدي.

- انا اعلم هذا، لذا كف عن معاملتي كغبية. انا اعلم ان الهدف الأساسي من وراء محاولتك هذه هي احباط عزيمتي لجعلي اترك المهمة الموكولة الي حتى قبل ان ابدأ بها. وانا لن اغادر قبل ان انتهي من مهمتي، فليكن هذا معلوماً لديك ولمرة واحدة.

اسكته كلامها لبضع لحظات ثم عاد ليطلق العنان لضحكته الساخرة ويقول:

- يبدو انك كبرت حقاً، يا عزيزتي.

- بالطبع. لقد كبرت يا رايك دي زالدو. هل كنت تظن باني سوف اصل الى هنا خائفة ومرتعبة، لا اقوى على الدفاع عن نفسي.

- ربما. وهذا يعود الى انك لا تزالين طفلة صغيرة في ذاكرتي. تلبسين سروالاً قطنياً وتسيرين حافية القدمين ومحلولة الضفائر. على فكرة، ماذا فعلت بضفائرك؟

- لقد قصصتها لعلمي بأنك ستمسك بها كما كنت تفعل في الماضي.

- للأسف. كان بامكانها ان تكون ذات فائدة هذه المرة. كنت سأمسك بها بينما تدليني على الطريق، وتابع مقهقهاً، طريقة رائعة، اليس كذلك؟

- ان كنت لا تريد ان يقودك احد فما عليك الا ان تتجاوب وتتعلم كيف تدبر امورك. فهناك الكثير من فاقدي البصر الذين يخدمون انفسهم ويتصرفون بطريقة رائعة.

ـ كم هم محظوظون.

ـ رايك. انت ذكي الى درجة تسمح لك بالتكيف بسرعة مع حياتك الجديدة.

ـ طريقتي القديمة في الحياة كانت تناسبني تماماً، يا عزيزتي، وتابع بوجه خال من التعابير، كنت جندياً ممتازاً واردت ان ابقى كذلك. بحق السماء، انت لا تفهمينني يبدو لي انك احتفظت بعقلية تلميذة مدرسة ومنطيقية رغم انك اصبحت امرأة ناضجة. لقد وصلت الى هدفي في الحياة، لكنه تبخر فجأة. احس كما لو ان القنبلة قد قذفت بي الى خارج الزمن، وها انت تأتين بحكمتك الجميلة تطلقينها وكأنها تحمل الأجوبة الشافية على كل اسئلتي ومشاكلي. تطلبين مني ان اعود الى الحياة. تفضلي وقولي لي كيف يكون هذا؟

تنهدت انجي واستنتجت بأن الوقت الآن يبدو غير مناسب للنقاش معه وتحليل الأمور. عليهما ان يعتادا على بعضهما ثانية قبل الدخول في مثل هذه المواضيع وبالعمق الكافي. عليه ان يتعلم اولاً كيف يتقبلها كصديقة يأتمنها على اسراره، وهذا امر يأخذ وقتاً.

ـ انت تعرف افضل مني. في كل حال انا ذاهبة الى غرفتي. هل هناك من يساعدك على الحلاقة وارتداء الملابس؟

ـ نعم، بريميتيفو. ربما تذكرته. انه من سكان هذه الجزيرة وعمل دائماً لحساب والدي هنا.

ـ آه، نعم، لقد تذكرته.

ـ انتبهي، لا تنسي ما قلته لك، مفهوم؟

ابتعد عنها فتنهدت تكراراً وسارت نحو الباب تاركة اياه وحيداً مع افكاره السوداوية التي تدور بمجملها حول حياة يعتبرها انتهت الى غير رجعة.

شعرت انجي بالقلق والتحدي في الوقت نفسه. لم يكن بمقدورها السماح لشخص مثل رايك بالتحول الى انسان انعزالي، غارق في تشاؤمه وخوفه من فقدان عقله كما فقد بصره. لم يكن بمقدورها ان

تضعف تجاهه كما العائلة التي كانت تعامله برقة وعطف زائدين لأنه الابن الأكبر. لدرجة ان جميع افراد العائلة يحترمون رغبته ويسهرون على تطبيقها.

اما هي فقد اعتبرت نفسها من طينة اخرى. رغم ان رايك كان يعني لها الكثير الا ان اولى واجباتها ان تحاول اعادة النشاط الى قواه الحيوية التي كانت تشكل جزءاً مهماً واساسياً من شخصيته.

لقد قررت انجي ان تخوض المعركة بكل قواها وعزمت على ايقاظ رايك من سباته حتى لو اضطرها الأمر الى ان تجعله يكرهها او يؤذيها.

٣ - الوشاح السحري

كانت انجي تضع اللمسات الأخيرة على زينتها حين قرع جرس العشاء وسمع صوته في كافة ارجاء الفيللا.

لم يكن هذا الصوت غريباً على انجي اذ سمعته سابقاً كل مساء خلال ايام عطلها الماضية. تذكرت كيف كانوا يتسابقون من الطابق العلوي الى غرفة الطعام في الاسفل، وكل منهم يريد ان يكون اول الواصلين الى المائدة، حيث دون كارلوس يوبخهم على سوء تصرفهم والضحكة تعلو وجهه قائلاً:

- ان من يراكم يعتقد، للوهلة الأولى، انكم لم تتناولوا طعاماً لعدة ايام. ان شهيتكم تذكرني بشهية الجنود العائدين من مسيرة تدريبية!

تبسمت انجي بينما كانت تثبت عقد اللؤلؤ الذي اهداها اياه

كارلوس دي زالدو بمناسبة عيد الميلاد الأخير الذي امضته هنا. ثم تحسست رداءها الطويل، البسيط التصميم بلونه العنابي الرائع الذي يناسب لون بشرتها وشعرها تماماً. مما اضفى على مظهرها هدوءاً هي في امس الحاجة اليه. وفيما هي خارجة من الغرفة القت نظرة على الباب المجاور. كانت تكره فكرة وجود رايك وحيداً يتناول عشاءه في ظلام دامس، لكنه كان من الأفضل ان تتركه هكذا لهذه الليلة فقط. فقد يصبح في الغد اكثر قبولاً لفكرة وجودها قربه، اما الآن فما زال غاضباً لأنه تأكد من ضرورة وجود ممرضة الى جانبه. . . نزلت انجي من الطابق العلوي عبر الدرج الخشبي الرائع الى الطابق الأرضي.

كان في انتظارها، في ملابس العشاء الرسمية، رافعاً رأسه الرمادي الشعر بفخر. فانفرجت اساريرها، اذ احست بأن الفترة التي امضتها بعيدة لم تكن طويلة. كان هذا الرجل كارلوس دي زالدو حاكم الجزيرة العام. وقفت تتأمله قليلاً ولاحظت بأنه اورث رايك قوة تعابيره. والاختلاف الوحيد الظاهر بين وجهيهما يكمن في قدرة عيني دون كارلوس على الرؤية. وبحيوية وبريق مشع يعكس عيني رايك بادرها الحاكم بالقول:

- يا طفلتي العزيزة، واستطرد ممسكاً بيدها، كم انا سعيد برؤيتك ثانية. لقد كبرت واصبحت فاتنة! منزلي هو منزلك فاهلاً وسهلاً بك بيننا.

وانحنى على يدها مقبلاً. ما ان لامستها الشفتان حتى احست بالحيوية التي تميز دون كارلوس عن باقي الرجال الذين في مثل سنه.

- انا سعيدة برؤيتك ثانية، يا سيدي، وتابعت بفخر، كنت اتمنى ان اعود الى هنا كزائرة لا كممرضة.

فنظر اليها بأسى وقال:

- آه، نعم. لقد قابلت ولدي، اليس كذلك؟ ما هو الانطباع الذي كونته عنه؟

- انه يتهرب من مواجهة الواقع ويحاول ابقاء نفسه، وحيداً

وبعيداً. بصراحة هذا اسوأ ما يمكن ان يفعله. اعتقد ان اولى واجباتي ستكون باقناعه في الخروج الى بعض النزهات في الجزيرة لكي يعتاد على عالمه الجديد. انه ذو انفة، كما تعلم، وهو خائف من مشاعر الشفقة والخوف التي يكنها الناس للأعمى. هذه المشاعر ليست رفضاً، كما يجب ان يعتقد، وانما هي تنبع من خوفهم عليه.

امسك دون كارلوس بيديها وقربها منه قائلا:

ـ ارى انك فكرت ملياً في الموضوع. يجب ان يكون هناك امل في شفائه. رايك هو ابني واشك ان تكون لدي القدرة على مواجهة هذه الكارثة.

ـ ان كان فقدان البصر نهائياً، فعليك مواجهة الأمر عاجلاً ام آجلاً. لقد تكلمت بدون شك مع الجرّاح الذي اجرى العملية لابنك. هل اخبرك بأن هناك املا في الشفاء؟

جال دون كارلوس ببصره في الغرفة وهز برأسه وهو يقول:

ـ ان الاطباء يغيظونني كثيراً، فهم يتهربون من الاجابة على اسئلة دقيقة وحساسة تطرح عليهم. لقد اخبروني بأن رايك محظوظ لبقائه على قيد الحياة لأن بعض شظايا القنبلة قد اخترقت الدماغ والجرّاح لم يكن واثقاً من النتيجة. سمحوا لي باحضاره الى المنزل لكنهم اشترطوا علي وجود ممرضة مقيمة معه هنا، فاقترحت مايا اسمك فورا على اعتبار انك افضل من يتولى هذه المهمة. وكان من حسن حظنا ان ظروفك سمحت لك بأن تأتي. انا ممتن جداً، انجيلا، لرغبتك الصادقة في مساعدتنا في هذه الظروف العصيبة التي نمر بها.

فابتسمت بشحوب وكاد التأثر يدفع بها الى البكاء:

ـ ولم الاصدقاء اذن يا سيدي؟ تأكد باني سابذل قصارى جهدي من اجل جعل رايك يتكيف مع واقعه الجديد.

ـ يا الهي، لماذا كان يجب ان يحدث هذا لرايك؟ ما هو العمل السيء الذي فعلته لك يا ربي؟ لقد خاض ابني معارك طاحنة وحاز على رتبته العسكرية بالعرق والدم وحمل اوسمة الشجاعة ان هذه

العاهة التي يصارعها الآن تكاد تحطمه يا انجيلا. ان كل الاشياء التي يفضلها تحتاج الى قوة ومهارة بدنية . . . هل تعلمين بانه حمل لقب استاذ سلاح؟ هل تعلمين كيف كان يسبح؟ وهل تعلمين ان . . . يا الهي، ان ما حدث يكاد يخنقني يا ابنتي.

ـ لكنه ما زال قادراً على السباحة يا سيدي. ان المحيط لا عوائق فيه كحياتنا المكتظة بالبشر والآلات. هذه مشكلة بسيطة يمكن حلها سريعاً.

ـ نحن لم نفكر هكذا في البداية، وتابع بابتسامة حزينة، نعم يا ابنتي لكن السباحة ليست كل شيء. لقد كنت طموحاً جداً في ما يتعلق بمولودي البكر، وانا اتساءل الآن اذا كانت هذه هي خطيئتي، وخطيئة الزهو والتباهي.

ـ اؤكد لك بأنك تستطيع ان تتباهى وتفخر بأولادك جميعاً يا سيدي.

ـ تماماً. الا ان رايك كان البكر وجاء حاملاً معه كل ما يتمنى الاب ان يراه في ابن سيحمل اسمه ويرث شجاعته واندفاعه كاندفاع مصارع ثيران. انا احب ابني الثاني سيب كثيراً لكنه قرر الانتماء الى عالم الفن رغم اني لم احاول ابداً ان اتدخل في حياته الا ان ما اراه غريباً هو ان يختار ابني مهنة صناعة الافلام.

ـ لقد اثبت سيب انه ناجح في صناعة الافلام وهو يتمتع بمركز مرموق جداً في هذا المجال في انكلترا وانا شخصياً اسر بالافلام الناجحة، ثم، الا تعتقد معي يا سيدي، بأن الافلام تحتوي على قدر اقل من الوحشية الموجودة في مصارعة الثيران؟

ـ آه، انها الانكليزية التي تكره مصارعة الثيران. لا تنسي يا عزيزتي بأنهم لا يزالون يصطادون الايل في بلدك. اود ان اسمع رأيك حول هذا الموضوع.

واجابته، فيما كانت عيناها تعكسان كرها للذين يستعملون الحيوانات والناس في تسليتهم الشخصية، فقالت:

- انا اكره هذه التصرفات. اننا نعيش في عالم قاس لا يرحم. وبعض الناس ينسى او يتناسى ان كل المخلوقات لها شعور.

- يبدو لي انني ومايا احسنا صنعاً بدعوتك الى هنا.

واطرق ثم تابع بالاسبانية:

- انت ملاك سماوي. هذه عبارة نستعملها نحن الاسبان في وصف انسان رقيق القلب وانيس المعشر. بدون شك انت تعرفين لغتنا. ما اذكره عنك انك تربيت، كأولادي تماماً، على محبة الله ورسله وانبيائه. انت تؤمنين بكتبه وتعملين بتعاليمه، اليس كذلك؟

- تماماً، وخاصة ان مهنتي كممرضة تفرض علي ان احيا مع المرضى في احزانهم وآلامهم لذلك فاني استعين بايماني بالله عندما تواجهني متاعب ومصاعب. وصدقني، كثيراً ما واجهتني مشاكل وصعوبات، وكنت اتغلب عليها دائماً بفضل ايماني.

- رغم كل هذا. انا متأكد من انك تقرين ببعض الخطايا ككل انسان على وجه الأرض.

- آه، من هذه الناحية، انا اوافقك الرأي. فأنا لا احيا باسمي تماماً. واكره ان اكذب على الناس واظهر لهم على غير حقيقتي.

- انا اظن بأن رايك يوافقك على هذا الرأي، الا تعتقدين؟

- تماماً، سيدي.

لعدة دقائق بقيت انظار انجي معلقة بدون كارلوس. لقد بدت يافعة، حساسة ورفيعة القامة بعكس دون كارلوس الواقف امامها والذي كان مثلاً حياً للذكور اللاتينيين.

- تعالي معي، اريد ان اريك شيئاً.

امسك بها من يدها وسار واياها عبر القاعة الى حيث علقت لوحة زيتية كبيرة. كانت اللوحة جميلة جداً، مرممة في بعض اجزائها، وتمثل تنيناً اسطورياً ووحيد القرن وفتاة بيضاء مقيدة الى شجرة، واكليل من الورد الأحمر يعلو رأسها.

- لقد اشتريتها منذ عدة سنوات، وتابع وهو ينظر الى اللوحة

بعينين نصف مغمضتين، اللوحة تمثل البراءة المهددة، امرأة تتنازعها عاطفتان: الرغبة والطهارة. ان التنين يرمز الى الرغبة فيها ووحيد القرن يرمز الى الحبيب البعيد المنال. لقد اشتريت هذه اللوحة لمضمونها ولاعتقادي بأنها تشكل بتعليقها هنا مفاجأة سارة لكل من يراها للمرة الأولى. ماذا تعتقدين؟

- هذا رائع، يا سيدي.

ورمقته بنظرة سريعة متسائلة، ان كان يشك بأنها رضخت لقلبها وعادت الى بايلتار. ان دون كارلوس انسان حاد الذهن، فطن وبعيد النظر. فهل يكون تفسيره لمزايا هذه اللوحة الآن محاولة لافهامها بأن رايك بعيد المنال؟ ان هذا الرجل اسباني حتى العظم وغني حتى العظم ايضاً، لذلك ساور انجي بعض الشك في ان يكون الوالد يريد لابنه ان يتزوج فتاة لاتينية من مستواه الاجتماعي. ربما كان دون كارلوس يفكر بفتاة معينة.. . ربما تكون ايزابيل التي رباها وعاملها بحنان ولم يميز بينها وبين ابنته الحقيقية مايا.

قد يكون هذا ايضاً عائداً الى ان رايك يواجه مستقبلاً غامضاً ولذلك يريده دون كارلوس ان يتزوج سريعاً، حتى اذا ما اصيب بمكروه لاحقاً يكون لديه ولد يرثه.

واذا بحبل افكارها يقطعه دون كارلوس قائلاً:

- تعالي، لا بد انك تشعرين بالجوع بعد رحلتك الطويلة من لندن.

زافق دون كارلوس انجي الى غرفة الطعام الفاخرة الاثاث التي ما ان دخلتها حتى لاحظت بانها لم تتغير كثيراً منذ ان تناولت الطعام فيها لآخر مرة. كانت النوافذ مغطاة بستائر من المخمل المنسدل بذوق والاثاث الفاخر الداكن اللون يلمع تحت وهج نور الثريا مما يزيده جمالاً. كانت طاولة الطعام معدة بعناية، وفضية كريستوفل وكريستال سان غوبان يزيدان من رونقها. جالت انجي ببصرها على الطاولة فشاهدت في منتصفها سلة كبيرة من زهور الغاردينيا مرتبة

بأناقة وتفوح رائحتها في المكان.

احست انجي بثقل يضغط على صدرها عندما شاهدت كرسي رايك الذي لم يشغله منذ اصابته. ولاحظ دون كارلوس هذا الأمر فقال لها وهو يشير بيديه بعصبية:

ـ رايك انسان راشد، وانا لا استطيع ان ارغمه على الجلوس الى المائدة كما لو كان صبياً. يحزنني انه يفضل البقاء بعيداً عنا.

ـ كان رايك يرغب دائماً في ان تسير الأمور وفق ارادته. هل سبق لك ان تعاملت مع مريض مثله ايتها الممرضة هارت؟

كان هذا الصوت لدونا فرانشيسكا ، الارملة وشقيقة دون كارلوس. قالت هذا الكلام بعد ان حيّت انجي بانحناءة خفيفة.

احست انجي بلسعة باردة بسبب لهجة الدونا. لقد بدا لها وكأن هذه الأخيرة تحاول ان تضعها في مكانها الصحيح، بعد ان شعرت انه ليس من اللائق بأن تتناول ممرضة رايك طعام العشاء الى مائدة العائلة. وضعت انجي فوطة الطعام على صدرها واجابت:

ـ لا ، لم يسبق لي ان تعاملت مع مريض مثل السيد رايك. انه ليس غريباً بالنسبة الي ولا استطيع ان اعامله بلامبالاة. انا، بالطبع، اتذكر كيف كان.

ـ هل تعتبرين ان ابن اخي قد تغير كثيراً؟

فأجابت مايا عنها بعصبية وهي تحدق بعمتها:

ـ بالطبع. تصوري نفسك تفقدين البصر بحادث انفجار قنبلة. هل ستظنين بأنك ستصبحين ناعمة جذابة وهادئة الاعصاب؟

اتسعت حدقتا الدونا وهي تنظر الى مايا بذهول كمن لم يكن يتوقع هذا الجواب الجاف.

كانت طريقة ارتداء الدونا للملابس تدل بوضوح على غناها الفاحش. لم تكن تعيش في الفيللا على عاتق دون كارلوس، لكنها احتلت جناحاً كاملاً نقلت اليه بحراً كل المفروشات التي كانت موجودة في منزلها في مدريد. لم ترزق بأولاد، لذلك كانت من النساء

اللواتي تتسم تصرفاتهن بالصرامة بدلاً من التسامح.

حافظت الدونا على هدوئها واجابت ابنة شقيقها بالقول:

ـ لقد اختار رايك بنفسه مهنة السلاح يا مايا. ولا اعتقده فعل ذلك وهو يجهل مخاطرها. لو وافق على العمل مع زوجي المرحوم في حقل القانون والحقوق لما حصل ما حصل. كارلوس سيوافقني على ان لرايك امكانات فكرية ضخمة وهو لو . . .

وقاطعها دون كارلوس قائلاً:

ـ ان الجندية تسري في عروقه وتعيش في احلامه وهذا نعلمه جميعاً، اليس كذلك فرنشيسكا؟

ـ انظر الى النتيجة، اعمى في ريعان الشباب، خائف ومنعزل عن الجميع! لو كان ابني لـ . . .

ـ لكنه ابني انا، وانا فخور به. لقد قام بواجبه كاسباني، ونحن لا نزال نأمل في ان يتعافى قريباً.

ـ انا اصلي من اجل هذا يومياً يا كارلوس. انه وريثك وكان عليه ان يأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار قبل ان يفعل ما فعله من اجل الحصول على ميدالية عسكرية!

نظر دون كارلوس الى شقيقته بشذر قائلاً:

ـ كفى! ما حدث قد حدث، انه القدر ولا احد يستطيع ان يعانده! فلنتناول طعام العشاء!

ـ حسناً! كما تشاء يا عزيزي كارلوس، انه القدر! لكن من المتوجب على رايك ان يبذل قصارى جهده للجلوس معنا الى الطاولة. نحن نفهم ونعي الصعوبات التي يواجهها ونسامحه على تصرفاته.

كانت ايزابيل تجلس الى المائدة قبالة انجي. ويدها تلعب بكأس الشراب امامها بتوتر ظاهر. توجهت لانجي بالقول ببطء شديد واصرار:

- على انجيلا ان تغريه بالانضمام الينا. هل تظنين بانك سوف تتمكنين من تسييره؟ فهو، كما قالت عمتي، صلب الارادة وبامكانه المعاندة كالثور. هل تظنين انك قادرة على هذه المهمة؟

- هناك مثل انكليزي يقول: ان الانسان يتعلم السير قبل ان يتعلم الجري. ومريضي هو انسان اعمى ويعيش في الوقت الحاضر في عالم يختلف كثيراً عن عالمنا. انه يعيش في عالم من الأصوات والأحاسيس عليه ان يتعلم الخروج منه. اذا شاء احد منكم ان يستكشف هذا العالم، فما عليه الا ان يضع ضمادة على عينيه ويحاول السير في غرفته الخاصة. صدقوني، ان تجربة من هذا النوع ستكون مخيفة وصعبة. خلالها يفقد الانسان احساسه بالمكان والزمان فلا يعود يرى جدران الغرفة مثلاً ويصبح خائفاً على الدوام من ان يصل الى الحافة ويقع. طبعاً الحافة هنا وهمية لأن الاحساس بحدود المكان لم يعد يضبطه النظر.

حدقت ايزابيل بانجي والشعور بالكراهية باد عليها وقالت:

- ارى انك فكرت كثيراً بموضوع رايك. هل طبقت هذه التجربة على نفسك؟

- نعم، لقد ارغمت نفسي على البقاء بضع ساعات في ظلام كامل، ورغم اني كنت اعلم ان بمقدوري انتزاع الضمادات ساعة اشاء فقد كانت التجربة مرعبة. رايك لا يستطيع ان يفعل هذا. عليه ان يعتاد على الظلام الدائم. وبما انه كان شخصاً ديناميكياً، فقد شكل هذا الموضوع صدمة نفسية قوية له، ورايك...

قاطعتها مايا وهي تقول بتأثر:

- لو... لو كنت مكان رايك، لرغبت في الانزواء بحزني وألمي بعيداً عن الناس.

- انا، من ناحيتي، لن اشجع رايك على القيام بعمل كهذا. عليه ان يتعلم قبول عاهته كتحدّ، كمعركة عليه ان يخوضها بنجاح. لقد التحق بالجيش لأنه وفر له هذين الشيئين: التحدي والمعركة.

وعندما يتقبل الفكرة القائلة بأن عاهته يمكن التغلب عليها، عندها سوف يتغلب عليها بشكل كامل وفعال.

فسألتها مايا والدموع تترقرق من عينيها:

- هل تعتقدين فعلاً بانه سوف يقاتل ويقاوم في هذا السبيل يا انجي؟ انا احب ان اراه ثانية في بذلته العسكرية، كانت تناسبه تماماً! ما زلت اتذكر عندما كان هنا في اجازة، وذهبنا لتناول العشاء في كاستيللو دو مادريفال، فهناك قدمته الى رودي.

قطعت كلامها فجأة وراحت تحدق في الحساء الموضوع امامها، وشاهدت انجي دمعة تنساب على خدها. ثم استطردت قائلة:

- انا لم اعد استطيع الاحتمال. تكون الحياة ولا اجمل ثم، فجأة، تنقض من السماء غيمة لا ادري من اين تأتي وتهدم كل الآمال التي يكون بناها الانسان. انا ما زلت انتظر تتمة هذه المصيبة كما لو ان لعنة قد حلت علينا.

- كفى.

ضرب دون كارلوس الطاولة بكفه فقفزت الاقداح وصحون البورسولين الصيني الفاخر:

- انا امنعك من التحدث بهذه الطريقة، تعالي، مايا، اكملي عشاءك وحاولي ان تطردي هذه الافكار من راسك. انسي عازف الغيتار الشاب هذا! انه ليس لك! لقد قلت هذا ويجب ان تحترمي كلمتي!

اعترضت قائلة:

- انا لم اعد طفلة!

- لقد امرتك بأن تنسيه! نحن عائلة متدينة تحيا بخوف الله عز وجل. لقد سبق وابلغتك والآن اكرر القول: انا لن اسمح لهذا الشاب الذي ترك زوجته من دون سبب بدخول عتبة هذا المنزل. فليكن كلامي واضحاً وللمرة الأخيرة!

- لم تكن لتعرف بهذا الأمر لو لم تنقله اليك ايزابيل. انها تسر

وتفرح عندما تشي بنا. لقد كانت هكذا دائماً.

- انا اقدر العمل الذي قامت به ايزابيل باخباري حقيقة الأمر. واقدر ايضاً شعورها واحساسها بالمسؤولية.

كانت عيناه تحدقان تارة بالغاردينيا على الطاولة وطوراً بمايا، فلاحظت انجي، وللمرة الثانية اوجه الشبه بين دون كارلوس ورايك. لم يكن شبهاً جسدياً فقط، بل كان شبهاً في الغطرسة ايضاً، عندما يتعلق الأمر باصدار حكم من الاحكام. كان يبدو على دون كارلوس بأنه يتمسك بقراره بشدة مثل ابنه تماماً.

نظرت انجي الى ايزابيل فرأتها تبتسم ابتسامتها الخبيثة كعادتها عندما يكون الجو متوتراً.

قالت مايا:

- ليس بمقدورنا ان نلوم رودي على الطلاق. فزوجته احبت شخصاً يعمل مع فريق موسيقي اخر.

اجابها بحنق:

- مغنون! مغنون! ان هؤلاء الناس لا شعور بالمسؤولية لديهم. عند اقل هفوة او مشكلة يطلقون!

نظرت مايا الى والدها وعيناها تقدحان شرراً:

- ابي، انت تطلق الاحكام على الناس جزافاً، ولا تكتفي بذلك بل تحاول التحكم بمجرى حياتي وترغب بتدميرها. من المعروف انك انت ايضاً وقعت في الحب من النظرة الأولى!

- امك كانت ملاكاً ولم تكن مثل هؤلاء الشبان الذين يطبلون ويزمرون على المسارح. . .

التمعت ، تحت ضوء الثريا، شفرة السكين التي كانت بيد الدون تقطع بها شرائح من لحم الخروف المشوي وتضعها في صحون يوزعها الخدم حول المائدة.

- كيف تستطيعين القول، يا مايا، بأن هذا الفتى قد وقع في الحب من النظرة الأولى؟ وتابع مستطرداً، لقد كان متزوجاً وعلى المرء ان

يفترض بانه كان يجب عند ذاك ايضاً.

كان الصحن يهتز في يد مايا من شدة غضبها:

- ان زواجه كان خطأ. لقد كانت اكبر منه سناً واغرته بالزواج منها. اننا، في النهاية، جميعاً معرضون للخطأ.

- من الطبيعي ان يبرر نفسه بهذه الطريقة وانت، كفتاة عاقلة، لم يكن عليك ان تصدقيه. باستطاعتي ان اؤكد لك، يا ابنتي العزيزة، بأنك ستستعيدين هدوء اعصابك قريباً وستعرفين بانك كنت على خطأ. انت من لحمي ودمي، مايا، وهدفي هو ان ترتبطي، عن حب، بشاب اسباني الدماء والمبادىء.

واستطرد بعد ان رمقها بنظرة سريعة:

- لو لم تخبرني ايزابيل في الوقت المناسب، لكنت قمت بعمل جنوني ورديء جداً.

ردت مايا على نظرة والدها بنظرة تشابه نظرة من يضمر الشر والاذى لغيره فيما كانت ايزابيل تبتسم بخبث وهي تتناول جرعات صغيرة من العصير.

خلال كل هذا الوقت كانت انجي تراقب الجميع وهي مضطربة وحزينة. لقد بدا لها ان ايام الفرح غطتها الظلال وان وقت اللعب انتهى. ان مشكلة رايك قد اربكت اهل المنزل ووترت اعصابهم الى حد كبير. راحت انجي تراقب مايا وهي تتناول طعامها بهدوء عجيب. لقد كانت تعرف مايا جيداً وتعرف ان هذا الهدوء انما في الظاهر. كانت دائماً ابنة مطيعة، لذلك لم يكن من المتوقع ان تتطور المواجهة بينها وبين والدها الى اكثر من هذا الحد. فهي في النهاية ستخضع لرأيه لكن عدم موافقته على علاقتها برودي اغضبتها واثارت حنقها عليه، اضافة الى قلقها المستمر على اخيها المريض.

انتهى العشاء وقدمت بوظة الفانيليا. كانت هذه الحلوى هي المفضلة عند رايك وسيب، وكانا دائماً يطلبان صحناً اضافياً. لكن بسبب غيابهما عن العشاء وجدتها انجي اقل لذة من المعتاد.

رفضت مايا ان تتناول القهوة في غرفة الجلوس. وقالت انها تفضل ان تتمشى قليلاً. لم يجد دون كارلوس ما يدعو للمناقشة في هذا الأمر. ثم بادر انجي بالقول، بعد تفكير طويل وبينما كان يتحسس شاربيه:

- ان مشاكل الأولاد تزداد كلما كبروا. كانت مشاكلهم اقل بكثير عندما كانوا في المدرسة. كيف افهم مايا بأني حازم معها من اجل مصلحتها الشخصية وسلامتها؟

- احقاً من اجل سلامتها، يا سيدي؟

وجدت انجي نفسها تطرح هذا السؤال فجأة وبصورة لا شعورية، فاستطردت قائلة:

- ما اعنيه هو: لماذا لا نسمح للجميع بأن يجربوا ما يشاؤون ويتحملوا بالتالي نتائج هذه التجارب.

فنظر اليها وهو مقطب الجبين، فبدا لها مثل رايك تماماً، وقال:

- هل تعنين بأني اتصرف معها بطريقة فظة وغير مقبولة؟ هل تعتقدين بانه يتوجب علي السماح لها برؤية هذا الشاب؟ لا تنسي بانه طلق زوجته. ثم هناك نقطة ثانية حول هذا الموضوع، انه يعمل في الاستعراضات الغنائية وليس له دخل مادي ثابت فمعيشته غير مضمونة. يا الهي، لو رضخت لدموعها اكون قد تخليت عن مسؤولياتي كأب. لقد عاشت مايا حياة هانئة وآمنة وهي لا تزال غير ناضجة عاطفياً. ان هذا الحب لا يعدو كونه نزوة عابرة وسوف تنساه سريعاً.

- انها تبدو حزينة... شكراً.

واخذت انجي فنجان القهوة الذي قدم لها وجلست في احد المقاعد الفاخرة التي تزين غرفة الجلوس. كان الاثاث اسباني الطراز وتتوسط الحائط خزانة من الزجاج المصقول تضم مجموعة ثمينة من تماثيل العاج وحجارة الجاد. من نوافذ هذه الغرفة تبدو الحديقة الخارجية المسقوفة والغنية بأنواع الزهور والورود. وانجي تتذكر بنوع

خاص ازهار الياسمين التي كانت تفوح في الحديقة وتزيدها سحراً على سحر.

توجهت ايزابيل نحو البيانو الذي تحولت مفاتيحه العاجية البيضاء الى اللون العسلي بمرور الزمن، وراحت تعزف لحناً عرفته انجي فوراً: انها اغنية فرنسية قديمة كانت تستمع اليها ايام الصبا دون ان تستوعب معاني الكلمات. كانت تقول:

- ان متعة الحب لا تدوم الا لحظة واحدة، ولوعة الحب تدوم العمر كله.

فقال دون كارلوس على الفور لانجي، وكان يعرف الأغنية:

- قد يكون الأمر كذلك لبعض الناس. لكني بالتأكيد لا اريد هذا لمايا ولا لبقية اولادي.

ورفع كأس الشراب الى شفتيه وتجرع قليلاً منه وراح يحلق بصمت بانجي التي لا تزال متوترة ومشدودة الاعصاب. فجأة قفز قلبها في صدرها اذ تكهنت ما كان يدور في رأس دون كارلوس في تلك اللحظة. لعل سرعتها في الحضور لتمريض رايك اثارت شكوكه في ان تكون قد وقعت ضحية حب سيزيد الوضع تعقيداً؟

- ان مايا غريبة الأطوار احياناً. اثناء غيابك لا تمل من الحديث عنك وعندما تعودين، بدلاً من ان تجلس هنا معك، ها هي تتمشى وحيدة في الحديقة. ان تصرفاتها تدل على انه لا يزال امامها وقت طويل لكي تنضج. لكن لندع موضوع مايا جانباً ونتكلم حول الموضوع الأهم. فهمت منك بانك ستقومين بكل جهد ممكن من اجل الحد من العدوانية التي تطغى على تصرفات رايك وستحاولين ان تغيري الافكار التي كوّنها حول... حول وضعه الجديد، وستجعلينه يتأقلم معه.

- تماماً.

- كيف كانت ردة فعله حتى الآن؟

- اعتقد انه لو قدر له ان يقطع رأسي ويرفعه

تأخر.

- الى هذا الحد؟

تبسمت انجي قليلاً فيما كانت تشرب قهوتها، وراحت تراقب دون كارلوس بطرف عينيها. لقد كان دون كارلوس مثال النبل الاسباني العريق بطوله الفارع ولونه الاسمر ونظرته الحادة التي تخترق الاشياء. كان شخصاً ساحراً وجذاباً، وقد استعمل هاتين الصفتين في حماية مصالح سكان الجزيرة. اذ حافظ على السياحة وعلى التجارة والصيد وهي موارد الرزق الاساسية للسكان، كما يحافظ على املاك عائلته الخاصة.

مد دون كارلوس يده ليتناول سيجاراً من علبة خشب الورد المحفور والباهظ الثمن، الموضوعة قرب كرسيه، فالتمعت في الضوء ازرار اكمام قميصه وهي من الياقوت الازرق. قالت انجي بينها وبين نفسها: ان هذه الازرار تساوي ثروة دون ادنى شك. لقد كانت كل حركات الدون مدروسة وتدل على انتسابه الى بيت عريق. احست انجي نحوه بشعور يختلف عن شعورها السابق عندما كانت لا تزال تلميذة مدرسة. لقد كبرت اما هو فما زال يتمتع بحيويته ورشاقته ولو لم يتغير لون شعره قليلاً لما شعر احد بتقدمه في السن.

في تلك اللحظة بالذات دخلت دونا فرنشيسكا الى الغرفة. كانت قد صعدت الى الطابق العلوي، لتحضر ادوات التطريز التي تتسلى بها، كما قالت. رغم انه بامكانها ان ترسل احد الخدم لاحضارها، لكنها عادت، مما بدا انها محاولة فاشلة منها لاقناع رايك بالنزول والجلوس مع العائلة.

قام الدون عن كرسيه لاحضار فنجان القهوة لشقيقته، فتأملته انجي وقالت لنفسها: هذا ما سيكون عليه رايك في كهولته، اذا قدر له ان يعيش.

قالت الدونا لشقيقها بالاسبانية:

- شكراً جزيلاً يا كارلوس.

ووضعت فنجان القهوة على الطاولة الى جانبها. وفيما كان شقيقها يعود الى مقعده والسيجار في يده، اخرجت من سلة التطريز شيئاً ما وحدقت بعينيها الداكنتين بانجي. لم يتكلم احد، ولم يكن ليسمع في الغرفة الا العزف على البيانو، فيما كان يعبق المكان برائحة سيغار هافاني من النوع الممتاز. اخيراً، فكت دونا فرنشيسكا عقدة الصمت وقالت:

- لدي هنا وشاح وهو ملك للعائلة منذ وقت طويل. قد يبدو خرافياً ما سأقوله لكم، لكنه معتقد متوارث: يقال ان هذا الوشاح له قدرة عجيبة على التهدئة وربما على شفاء من يصاب بجرح بليغ. علي ان اعترف، ايتها الممرضة هارت، بانني حاولت، عدة مرات، ان اقنع ابن اخي بوضع هذا الوشاح على وجهه، لكنه كان يرفض باستمرار ويضحك ساخراً.

قاطعها دون كارلوس قائلاً:

- انه على حق! هذا جهل وخرافة!

- انت وابنك تسخران دوماً مني عندما اتكلم في هذا الموضوع.

- هذه خزعبلات! ونحن لم نعد في العصور الوسطى يا إمرأة!

- لا بأس عليك! لكن، بربك قل لي، ماذا سنخسر اذا حاولنا؟ ثم لا تنسى ان هذا الوشاح مبارك.

- كيف وصل هذا الوشاح الى عائلتنا؟ هل هو حقاً مبارك؟ سؤ الان ما زلنا نطرحها دون نتيجة. اعتقد بانك تعرفين انه ليس من المناسب ان يبقى هذا الوشاح بين يديك في اية حال؟ وانا اشك بانك تعرفين انه لا يمكن الركون الى كل ما قاله بعض اجدادنا حول هذا الموضوع.

- لقد كان هذا منذ زمن بعيد، يا اخي. ولكن لدي اثبات على ان لهذا الوشاح قوى خفية. خذ قضية خادمتي بيلار مثلاً وألم الظهر الذي كانت تعاني منه. لقد وضعت هذا الوشاح على كليتيها فزال

المها. ثم هناك حالة بنت حمي اليدا التي كانت عاقراً. استعملت الوشاح معها ايضاً وكانت النتيجة ان انجبت توأمين كما تعلم!

علت وجه دون كارلوس ابتسامة ساخرة وقال:

- انها اعجوبة، اليس كذلك؟ دعينا من هذه الخرافات يا عزيزتي. ان ما حدث مع اليدا لم يكن حالة غير طبيعية. فللطبيعة سرها في صنع اشياء غير عادية.

اصغت انجي الى الحديث المتبادل ورأت انه من المفيد ان تتدخل في الموضوع بطريقة دبلوماسية. ان النساء الاسبانيات المتقدمات في العمر يؤمّن بخرافات بالية وكان هذا واضحاً من حيث الدونا. فقالت لهذه الأخيرة بنعومة:

- دونا فرانشيسكا، ما رايك لو حاولت وضع الوشاح على ابن شقيقك بنفسي؟

فأجابت وهي تشد بيديها على الوشاح:

- ربما كنت نجحت، لكنه لن يسمح لي بالاقتراب منه ومعي الوشاح مرة ثانية، لقد حاولت لكنه رمى به الى الأرض.

فقال دون كارلوس:

- هذا برهان على نضوجه ووعيه.

- ان رايك يزأر الآن كأسد عالق في شبكة صياد، وتابعت انجي مستنتجة، واية محاولة منا لوضع الوشاح على وجهه سوف تزيد من هذا الشعور لديه.

حدقت الدونا باحترام بانجي وقالت لها:

- انت تبدين يافعة، ومع ذلك تفهمين. . .

- افهم، يا سيدتي، ان ثقة وامل البعض قد يلهمان المريض بضرورة المقاومة من اجل التحسن والشفاء. انت تلاحظين ان حاسة السمع عند رايك اصبحت حادة. لذلك فالخطة الوحيدة الممكن تنفيذها هي التالية: سأدخل الى غرفته عندما يكون خارجها واضع الوشاح على وسادته. وعندما يعود لينام سوف يلقي برأسه عليه دون

ان يشعر.

فقاطعها دون كارلوس:

- اما زلتما تتابعان الموضوع؟ ما هذا الهراء، ما هذه السخافة؟

فنظرت اليه انجي بثبات ليقرأ افكارها. كان عليه ان يفهم بأن وراء تصرفات اخته المزعجة يكمن اهتمام كبير بمشكلة رايك. غمغمت انجي قائلة:

- واين الضرر في هذا، يا سيدي؟

نفث الدخان عبر شفتيه وحدق بعيني انجي الزرقاوين ثم قال:

- انتن النساء اشد المخلوقات غرابة على وجه الأرض. حسناً كما تشاءان. لكن لا تلومنني يا انجي اذا ما مزق رايك الوشاح.

فقالت له الدونا:

- ستسمح لنا بذلك، يا كارلوس؟

- اذا اصريتما على متابعة هذه اللعبة السحرية، وتابع وهو يسند رأسه الى ظهر المقعد، وانت يا ايزابيل، ماذا تظنين؟

سارت ايزابيل ببطء نحو مقعدها وهي تتمايل في فستانها المخملي الاخضر ثم جلست وراحت تحدق بدون كارلوس. ما ان شاهدتها انجي على هذه الحال حتى تذكرت لوحة زيتية رأتها في مكان ما. كانت تمثل قطط سيامية تبدو هادئة لدرجة اخفاء مخالبها.

- لم اكن اعلم بأن الممرضات يتعاطين السحر الأسود. هل يؤلمك ان تشاهدي رايك محروماً من تفوقه كرجل على الآخرين؟

- انا لا يمكنني ان اتصور، ولو للحظة واحدة، انه يمكن لمثل هذا الأمر ان يحدث. . .

تفحصت انجي ربيبة الدون بحشرية واضحة من رأسها حتى اسفل قدميها وتابعت:

- عليه ان يتعلم العيش بطريقة تناسب وضعه، وعندما سيكتشف بأن لديه قدرات لا تملكها، عندها فقط، سيعود ويتمكن من السيطرة على نفسه من جديد.

- ان من يسمعك تتكلمين هكذا يعتقد بأنك تعرفينه معرفة حميمة، لو سمحت لي باستعمال هذه الكلمة؟

ونظرت ايزابيل الى انجي نظرة من يشك في امر، مما جعل اعصاب هذه الأخيرة تهتز فأجابتها بصرامة وتصميم:

- اني اعمل في مهنة التمريض منذ خمس سنوات وانا اعرف بأن الشجاعة وقوة الارادة تفعلان المعجزات. ولو لم اكن واثقة من قدرتي على مساعدة رايك لما كنت هنا.

- آه، طبعاً. انا اعتقد بأنك كنت مستعدة للزحف على ركبتيك، فقط لكي تكوني الى جانبه!

فجأة صرخ دون كارلوس بايزابيل:

- ايزابيل! بحق الله، عما تتكلمين؟

- انجيلا تعلم تماماً عما اتكلم، فلماذا لا تسألها؟

راح دون كارلوس يحدق كالمذهول تارة بايزابيل وطوراً بانجيلا التي احست فجأة بارتباك شديد، كما لو ان مضيفها قد تحول فجأة الى محقق.

٤ - الانامل تبصر احياناً!

لم يسبق لانجي ان وجدت نفسها في وضع محرج مثل هذا الوضع. اذ تحولت فجأة مشاعرها نحو ايزابيل من عدم ثقة الى كراهية، لأنها جعلت الشك يتسلل الى النفوس حول موضوع عودتها الى الجزيرة.

كان دون كارلوس ما زال يتفرس في وجه انجي دون ان يدري ما اذا كان عليه ان يصدق ما قالته ايزابيل ام لا.

لقد رغب في وجود انجي هنا من اجل الاعتناء برايك، لكنه في الوقت نفسه متشدد ومحافظ في كل ما يختص بالاخلاقيات. كانت انجي تنام في الغرفة الملاصقة لغرفة رايك وسيكون عليها ان تدخل وتخرج غالباً من والى غرفته. اما الآن، وبسبب ملاحظة ايزابيل فلقد

بدأ يساوره الشك حول هذا الموضوع. اما انجي فهي تعرف الآن ما يدور في رأس دون كارلوس تماماً. انه يتساءل عما اذا كان قد احسن صنيعاً بدعوته شابة الى منزله للعناية بابنه.

راح دون كارلوس ينظر بصمت الى انجي الجالسة على المقعد ذي اللون الفاتح وشعرها منسدل على جبينها.

ـ ان هذه الغرفة اشبه بالقبر!

وضربت حافة الباب عصا فاستدارت انجي بصورة تلقائية لترى من القادم. قفز قلبها في صدرها عندما شاهدت رايك يلج الباب حاملاً عصاه كالسيف. وقف دون كارلوس وقال موجهاً كلامه لرايك:

ـ ادخل يا ابني واشرب معنا فنجاناً من القهوة.

دخل رايك وهو يتحسس طريقه بالعصا:

ـ ماذا دهاكم؟ ما هذا الصمت المطبق؟ انتم كالتماثيل تماماً.

كانت انجي تراقبه وارادت ان تحذره لكي ينتبه الى الاثاث في طريقه، لكنها احست بثقل في حنجرتها منذ ملاحظة ايزابيل الأخيرة.

ـ انتبه.

رغم ملاحظة الدون الا ان رايك اصطدم عرضياً بطاولة اصابته في ساقه وآلمته فصرخ قائلاً:

ـ اللعنة! ما هذا؟

وما ان قفزت انجي محاولة ارشاده الى مقعده، حتى استدار فجأة فاصابتها عصاه في ذراعها ولم تستطع ان تكتم صرخة الم لا شعورية. فقال:

ـ يا الهي! من الذي اصيب؟

ـ لا احد سواي.

قالتها وهي تفرك يدها المصابة. وعندما استدارت شاهدت ايزابيل تضحك بينها وبين نفسها.

ـ فقط انت، ايه، هل اصبت اصابة بليغة؟

ووقف فوقها ضائعاً وحائراً.

ـ لا عليك. سأبقى على قيد الحياة.

ـ هل علمتك هذه الحادثة الا تكوني ملاكاً يسرع الى حيث لا يجرؤ الاخرون على الذهاب؟

ـ ليس تماماً.

فسخر منها قائلاً:

ـ كلمات شجاعة يا انجيلا. لكني اراهن ان بمقدوري ان اجعلك ترتجفين من الخوف.

ـ هل انت تهددني بوضع افعى في سريري؟ لقد فعلت هذا عندما كنا صغيرين.

ـ الآن، لقد كبرنا جميعاً، اليس كذلك؟ علي ان افكر بشيء اكثر اثارة من الافعى لاخيفك به: رجل، ربما؟

فامسكت انجي فجأة عن التنفس واحست بانه عرف بذلك. لقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة صغيرة قاسية. فقالت له:

ـ ان ضربة من هذه العصا على قفاك لن تؤذيك كثيراً.

ـ هل انا ولد شرير وسيء الى درجة استحق معها العقاب، ايتها الممرضة؟

ـ ارى انك مصمم على جعل مهمتي صعبة.

ـ كنت تعلمين بانها ليست مهمة سهلة. لقد اخترت القدوم الى هنا وانا لم اطلب منك ذلك. انت آخر شخص كنت اتمنى رؤيته هنا. اسألي والدي، وهو سيخبرك كيف كانت ردة فعلي عندما علمت بأنك في طريقك الينا من انكلترا.

وتوجهت انظار انجي نحو دون كارلوس قبل ان تتمكن من ردع نفسها. فبسط يديه قائلاً:

ـ انا اؤكد لك بانه ليس هناك اي شيء شخصي... بسبب وضعه النفسي الحالي كان سيغضبه اي شخص كان.

- ابي، ليس من الضروري ان تداري شعورها، وتابع لامبالياً، لم اكن اريدها قربي. وهل كنت تظن باني كنت سأسمح لفتاة يافعة بالاعتناء بي لو كانت لي نصف عين فقط لارى بها؟

- انا ممرضة مدربة. ولست خائفة من الاعتناء بك.

كان الخوف والاحساس بالاهانة يعتمران داخل نفسها. لقد كان يتعمد الاساءة اليها امام والده. شعرت فجأة بانها لن تكون بمنأى عن اهاناته المتكررة والمتلاحقة الا خارج هذا المنزل. لم ترغب بالتفكير بما سيكون عليه وضعها النفسي لدى انتهائها من مهمتها هنا ولا بما ستمر به من مصاعب خلال هذه الفترة.

- اريدك ان تكون مهذباً مع انجيلا، وتابع دون كارلوس حانقاً، كان لطفاً منها ان تأتي الى هنا في مهمة صعبة. انت ابني ومن لحمي ودمي وانا اعلم انه اذا كان يناسبك ان تذيق امرأة ما مرارة الجحيم فانك ستفعل دونما رحمة او تردد.

ادار رايك رأسه باحثاً عنها بعينيه المطفأتين:

- اسمعت ما يقوله والدي؟ لا تنتظري مني ان اكون رحوماً لو قبلت بالمهمة.

- انا لن اغادر، فهذه ليست عادتي. وما عليك لتتأكد من كلامي الا ان تقابل رئيسة الممرضات التي عملت تحت امرتها.

- ابتدأ التنين يقذف بحممه، ايه؟

ثم اشاح برأسه وقال:

- فليناولني احدكم فنجان القهوة، لو سمحتم؟ لقد سئمت كل هذا الحديث عن الشجاعة، فوضعي الحالي برهان حي عن الجائزة التي يحصدها الشجعان؟

- تعال، وحاول ان تكون متمدناً ومهذباً!

قالها له دون كارلوس وهو يجلسه في مقعده ويناوله فنجان القهوة.

فأجابه وهو يحدق بحزن في الفراغ مما جعل قلب انجي يكاد ينفطر حزناً:

- لا احد يتحمل ان يكون متمدناً من الآن وصاعداً. لقد جن العالم واطلق سراح الشياطين الذين يعيثون في الأرض فساداً ويوقدون فيها ناراً ستحرقنا جميعاً في يوم من الأيام.

وضعت عمته يدها على كتفه وقالت له:

- رايك، يا بني، انس مسألة الحرب هذه. انت الآن معنا في المنزل وعلى قيد الحياة. ونحن بعيدون عن كل هذا وفي جزيرة في غاية الجمال والروعة والهدوء. ان كل ما هو مطلوب منك الآن هو ان تتعافى وتعود قوياً كالسابق.

واضاف والده وهو يرتشف القهوة:

- ان عمتك على حق يا عزيزي. لقد كان الشيطان بيننا دائماً وكنا ولا نزال نحاربه. نحن فخورون بك يا عزيزي لانك حافظت على شرفك العسكري بفخر وشجاعة.

- ان الفخر يسبق السقطة الى الارض. فربما في يوم من الايام اكون محظوظاً، فأقع على الأرض واكسر عنقي. ان اي شيء يكون افضل لي من هذا الظلام الدامس! وتابع وهو يضحك بسفاهة، انا اشعر بأن ملاك الرحمة فوقي يرمقني بنظرة استنكار، اليس كذلك؟

فأجابته ايزابيل هذه المرة:

- كم انت ذكي يا رايك! انت سريع جداً بالتقاط الذبذبات!

ارتشف قهوته بجرعة واحدة وقال ممازحاً:

- هذا لأني اتمرن على الجاسوسية، ايه! هل مايا معنا هنا. اذا كان الأمر كذلك فهي صامتة، لماذا؟

- لقد ذهبت لتتمشى قليلاً، وتابع دون كارلوس وهو ينظر اليه بحزن، انها مكسورة الخاطر لأنني لم اقبل بالمغني الشاب الذي احبته. ان الرجل الذي يطلق امرأة واحدة يطلق اثنتين، فهذا الأمر سرعان ما يصبح عادة لديه، ان الارتباط بهذا الشاب امر ارفض البحث فيه!

- اعتقد بانك تتصرف كاسباني متزمت جداً يا ابي. ما هي اهمية

الطلاق عندما يبدأ الناس بتمزيق بعضهم البعض بالقنابل؟

جمدت انجي في مكانها عندما شعرت بالألم يعصره عصراً وهو يتكلم. لم يكن لينسى حادثة القنبلة ولا صراخ رفيقه المحتضر. وراحت تتساءل عما اذا كان يشاهد كوابيس واحلاماً مزعجة عندما يأوي الى فراشه كل ليلة.

- انا ادرى بمصلحة مايا، وتابع دون كارلوس بصرامة، لقد عاشت مرتاحة هنا، ويجب ان تعيش مرتاحة في منزلها الزوجي.

- ربما رغبت في ان تعيش بعض المغامرات.

- اذا كنت تقصد مغامرات بمعنى السفر، فأنا موافق شرط ان يكون هذا مع الرجل المناسب.

- لكن الرجل المناسب لها قد لا يكون الرجل المناسب لك يا ابي.

- هل تلومني على موقفي، رايك؟

- لا، انما اعبر فقط عن رأيي. ان الحب مؤلم، اذا كانت تشعر بالحب تجاه هذا الشاب.

- هذه نزوة شباب! واكثر الفتيات والفتيان يمرون في ظروف مشابهة وهي تساهم في تحضيرهم للحب الحقيقي عندما يحين الوقت. ومن ناحية اخرى، انا اقول لك لو كانت مايا متأكدة من حبها لهذا الشاب، لما دخلت في نقاش معي. كانت تحدتني وفرت معه وتزوجا.

- ربما كانت تفعل هذا الآن!

التمعت عينا الدون عند سماعه هذا الكلام وقال:

- بحق الله! لو فعلت لما تمكنت من الجلوس على قفاها لمدة اسبوع على الأقل.

- لو افترضنا بأنك استطعت ان تصل اليهما سوية.

كان رايك يضحك من كل قلبه، فأحست انجي بالسعادة تغمرها. بدا لها انه نسي مشكلته للحظات يسيرة. لقد كانت هذه الطريقة الوحيدة التي يستطيع ان يربح المعركة بواسطتها وخطوة

خطوة.

- عند ذلك سأعمل على منعها من مغادرة الجزيرة. لن اسمح لابنتي بالزواج من ذلك الخائن! هي تعلم هذا الأمر جيداً وتعلم بانه عليها ان تطيعني في هذه المسألة.

- ابي، انت صارم جداً في بعض مواقفك. انت تحب مايا كثيراً وتعاملها بهذا الشكل لتجبرها في النهاية على الزواج من شخص تختاره انت.

- وأنت ستفعل نفس الشيء مع اولادك.

وفجأة عاد البرود والقساوة يغطيان وجه رايك:

- اولادي! اذا اردت ان يكون لك احفاد فما عليك سوى الاتكال على اخي سيب.

ثم تنهد وتوقف عن الكلام، فقامت انجي عن مقعدها والقت بيدها على كتفه قائلة:

- يجب ان تخلد الى سريرك الآن.

احست فوراً بقوة عضلات كتفه فيما كان يستعد للوقوف. برغم انها لم تكن فتاة قصيرة الا انه كان اطول منها بما لا يقل عن العشرين سنتيمتراً. فقال لها مازحاً وساخراً في الوقت نفسه:

- هل ستصعدين معي وتمسكين بيدي حتى انام؟

فضحكت ايزابيل ساخرة:

- هل هذا كاف لكي تغفو في هذه الأيام؟

ادار رأسه الى ناحية الصوت ورغم انه لم يكن ليشاهد شيئاً الا ان ايزابيل احست فجأة باضطراب واتكأت على النافذة المسدلة الستائر. واختار رايك ان يتجاهل ما قصدته ايزابيل من وراء سؤالها فقال:

- ان الشيء الغريب هو ان المرء تخف رغبته بالنوم تدريجياً عندما لا يعود بمقدوره ان يميز الليل من النهار. اعتقد بأن ضوء النهار يزعج العينين الى حد معين، لكنها، في اية حال، تجربة ارحب بها

بذراعين مفتوحتين.

وظهرت علامات الاسى على وجه دون كارلوس وهو يواسي ابنه:

ـ لا تيأس يا ابني، لا بد لهذا الأمر ان يحدث عاجلاً ام آجلاً!

ـ في احلامي النادرة، اليس كذلك؟ وتابع دون ان يصدق ما قاله والده، لا تظن بأني لم اسأل الاطباء عن رأيهم بعد ازالة الضمادات عن عيني وفحصها. كنت مصراً على معرفة الحقيقة رغم اني كنت على يقين بأني سأعيش في ظلام خانق. يا الهي، لا تظن بأني سأقبل بهذا. ما انا سوى انسان يريد حصته من الحب والحياة ولكن ليس بهذه الطريقة!

وصرخ دون كارلوس فجأة:

ـ رايك!

ثم تطلع صوب انجي عله يجد لديها الدواء الشافي للعذاب الذي يعيشه وابنه منذ مدة.

ـ رايك، يا ابني، آه، لو كنت استطيع ان اقدم لك عيني!

بدت هذه الكلمات وكأنها تخرج مباشرة من القلب الى القلب، فابتسم رايك وقال:

ـ هذه اجمل كلمات اسمعها منك يا ابي. ارجوك ان تسامحني ان كنت ابدو فظاً في بعض الأحيان، لكني لا استطيع ان احيا على الكذب، حتى ولو كان كذباً ابيض ويهدف للخير. انا لا اعيش في غباشة وانما في ظلام، فالضوء مفقود تماماً من عيني!

عند سماعها هذه الكلمات احست دونا فرانشيسكا بانحباس في انفاسها، فدفنت رأسها في منديلها واجهشت بالبكاء.

ـ عمتي، لا !

لقد تكهن رايك فجأة بأن عمته هي التي تنتحب، فتابع موجهاً كلامه اليها:

ـ تذكري ما قلته لي عندما عدت الى المنزل. لقد اخترت الذهاب الى حيث تستعر الحرب. لقد اخترت طريقي وهذا ما سأفعله دائماً،

فكفكفي دموعك، ارجوك!

قامت ايزابيل ولم يكن في عينيها اي اثر للدموع، فبدا لانجي ان هذا الموقف لم يؤثر بها، وتوجهت نحو رايك وامسكت بيده وقالت:

ـ هيا، رايك، سوف ارافقك الى غرفتك.

ونظرت الى انجي كمن تقول هذا الرجل ليس بحاجة الى ممرضة، انه بحاجة الى حبيبة.

ـ تصبحون على خير.

قالها رايك وخرج من غرفة الجلوس ترافقه ايزابيل. ففكرت انجي بأنه كان من الأفضل لها لو بقيت في انكلترا مع ذكرياتها عنه. لقد بدا لها واضحاً ان رايك الرجل لم يكن يريدها هنا. كانت جروحه واصابته فقط بحاجة لمعالجتها هي، اما مشاعره فقد كانت تنتظر امرأة اخرى. قد تكون هذه المرأة الأخرى ايزابيل، على سبيل المثال. فلقد كانت فكرته عنها واضحة بعكس ما يتذكره عن انجي التي غادرت الجزيرة في سن صغيرة نسبياً.

انتفضت عندما امسكت يدا دون كارلوس بيديها. حدق في عينيها للحظة بدت لها وكأنها دهراً ثم قال:

ـ تحمّليه، انجيلا، من اجلي انا.

ـ من اجلك انت، يا سيدي؟

ـ نعم.

ورفع يديها الى شفتيه وقبلها قائلاً:

ـ اذهبي الى سريرك الآن، فلقد كان يومك متعباً. اتركي ايزابيل تتصرف معه.

ـ حسناً، يا سيدي.

لم تجرؤ على سؤاله ماذا يقصد بما قاله. لكنها استنتجت من خلال كلماته ما يعزز تصورها السابق، اذ كانت تفترض بانه يناسب دون كارلوس ان يتم زواج ابنه رايك وربيبته ايزابيل.

ـ تصبح على خير.

- تصبحين على خير، يا صغيرتي. نامي جيداً.

فأومأت برأسها وهي تغادر غرفة الجلوس يخالجها شعور بأن ليلتها الأولى في الفيلا كممرضة لرايك، لن تكون مريحة على الاطلاق.

صعدت الى الطابق العلوي وما ان سارت في الممشى حتى شاهدت ايزابيل وهي تخرج من غرفة رايك والعبوس يعلو وجهها مرت مسرعة قربها دون ان توجه اليها اية كلمة. توجهت انجي مباشرة نحو غرفة رايك وعندما وصلت وجدت الباب لا يزال مفتوحا وشاهدت رايك متشابك اليدين ومنحني الرأس كمن يود ان يوجه ضربة الى الظلام الذي يلفه لفاً، ومتمنياً ان يجد ثغرة ينفذ منها الى النور.

ترددت انجي ثم دخلت الى الغرفة على رؤوس اصابعها. فاستدار رايك كمن سمع ضجة وقال:

- اخرجي ايزابيل، واذهبي الى شخص يستحقك اكثر مني.

- هذه انا، انجي.

- آه، لقد اتيت لتضعيني في السرير؟ لقد وصلت في الوقت المحدد فلقد ارتديت لتوي ثياب النوم.

قالت له بلهجة آمرة:

- ادخل الى السرير.

- ان لهجتك تشبه لهجة المدربين العسكريين، تعرفين هذا؟ وتابع مستطرداً، هل تهدفين الى جعلي اداة طيعة بين يديك؟ هل هذا هو برنامجك ايتها الممرضة؟ هل تخططين لاقناعي بنظريتك؟

- انا اخطط لاقنعك بالعودة الى انسانيتك. لكن تصرفاتك لا تجعلني اتفاءل بالنتيجة. لقد شاهدت خلال ممارستي للمهنة كثيراً من المرضى والاطباء ذوي الاطباع السيئة. ولكني لم اشاهد مثلك ابدا. انك سليط اللسان لدرجة لا تحتمل.

- انا مسرور لأنه ما زال باستطاعتي الفوز بأن ازعج البعض.

عقد حزام سرواله ووقف عاري الصدر فبدت آثار بعض الشظايا

التي اخترقته واضحة لانجي التي ارتعشت. قالت بينها وبين نفسها انه معذور عندما يتصرف بفظاظة ووقاحة ويحقد على كل الناس، لكنها اعتبرت ان تشجيعه على الاستمرار بهذا الأمر لا يفيد في شيء.

- لا احب فكرة كوني ممرضتك، لقد كنت على الدوام متغطرساً وواثقاً من نفسك.

- اما الآن فلقد تراجعت بضع خطوات، أليس كذلك؟

فجأة رفع يده بخفة نحوها كما لو ان في اصابعه رادارا، فأمسك بها وجذبها نحوه. لم تقاومه لأنها كانت تعي ان المقاومة ستكون دون نتيجة لكونه اقوى منها بكثير. فحاولت ان تبدو لا مبالية بقساوة صدره الدافئة. لم يكن من السهل على المرء ادعاء اللامبالاة في وضع كهذا. احاطها بذراعه القوية وشدها اليه اكثر قائلاً:

- اما زلت تذكرين هذا الأعمى المسكين، شقيق مايا الذي كان يشدك من شعرك ويضع الافاعي في سريرك؟ هل تتصورين انه من السهل تطويعي وترويضي لأني اعمى؟

- هل تتصور يا رايك بأن فقدان البصر يجعل منك رجلاً ناقصاً؟

- من الذي سمح لك بتحليل افكاري ومشاعري؟ اعملي بنصيحتي ولا تتعمقي في التحليل، وتابع غاضباً، فقد تكتشفين اشياء لا تعجبك.

- كما سبق وقلت لك، يا صديقي، انا لم اعد تلك التلميذة الصغيرة التي كنت تعرف.

كانت تشعر بكل نبضة من نبضات قلبه وبنعومة جلده الداكن اللون! لقد رغبت فجأة في عناقه لكنها احتارت في امرها لأنها كانت تجهل كيف ستكون ردة فعله على تصرف من هذا النوع. هل كان سيخرجها من الغرفة لو فعلت؟ ام انه ينتظر خطوتها هذه ليتابع ما كان بدأه سابقاً؟

ما ان مرت هذه الافكار في رأسها حتى شعرت بأن رجليها لا تكادان تحملانها. فهذه هي المرة الأولى التي تطلق العنان لخيالها. فجأة

لامست اصابعه عنقها فارتعشت فيما كان يقول وهو يدفع بها بغضب بعيداً عنه:
- ان بشرتك ناعمة كالحرير، اخرجي من الغرفة! ما انت سوى مخادعة صغيرة تجرؤ على الاعتقاد انه مع بعض معلوماتها عن النفس والجسم والرغبة البشرية، تستطيع ان تخرجني من الدوامة السوداء التي اتخبط فيها!
وتابع محدقاً في الظلام امامه:
- انت ما زلت تبدين وتتصرفين كتلميذة مدرسة. ثم احب ان اقول لك بانك تضيّعين وقتك معي. انا لست بحاجة الى نواياك الحسنة.
فسألته بهدوء:
- ما الذي تحتاجه اذن؟
- اتودين ان تعرفي حقاً، يا عزيزتي؟
- نعم، وتابعت مبتسمة، وسأحاول الا اجعل المفاجأة تصدمني!
- جل ما اريده هو امرأة وكأس شراب، وتابع ضاحكاً، احضري لي هذا فنعتبر بانك قمت بأحسن عمل ممكن خلال وجودك هنا.
- سوف آتيك بفنجان من الشوكولا الساخن المطعم بالقرفة.
وتابعت وقد صدمها طلبه:
- هل تنام بسهولة؟
- لا، بالعكس...
راح يفرك جبينه بيده اليمنى كمن اصابه صداع وتابع قائلاً:
- انا احلم دائماً بالكابوس نفسه الذي يتكرر ويتكرر. يبدأ بقنبلة تنفجر في الحائط بالقرب من رأسي وينتهي باحساسي بأن اشياء صغيرة تدخل في وجهي. هل هذا كاف ام انك ترغبين بسماع بعض التفاصيل المرعبة؟
- اصعد الى السرير، يا رايك، وسآتيك بالشوكولا.
- استبدليه بمشروب وسأكون شاكراً لك صنيعك.

- لقد احتسيت من المشروب ما يكفي لاسبوع.
دخل رايك في سريره وغطته انجي بالبطانية واستدارت فرأت قرب السرير علبة من السيغاريللو مع ولاعة كبيرة وساعة نافرة الحروف ليتمكن من معرفة الوقت باللمس، ويضع رسائل مقفلة وزجاجة دواء.
- لماذا لم تطلب من احد ان يقرأ لك هذه الرسائل؟
- انها ليست ... لم تعد مهمة.
من خلال جوابه عرفت انجي ان الرسائل موجهة من امرأة. التقطتها وراحت تدرس الخط على المغلفات. ثلاث منها مكتوبة بخط نسائي، اما الرسالة الرابعة فهي واردة من رجل بدون شك لأن الخط على الغلاف مقروء بالكاد.
- اعتقد ان هناك رسالة واردة من رجل. ربما احد زملائك في الجيش. سوف افضها عندما اعود اليك بفنجان الشوكولا الساخن.
ادار وجهه باتجاه صوتها وقال لها:
- لا اريد ازعاجك. ارمي الرسائل في احد الادراج.
احترمت انجي رغبته فيما يختص بالرسائل الثلاث الأولى، اما الرابعة فقد وضعتها خلف الساعة الموجودة على الطاولة. اخذت زجاجة الدواء وفتحتها، فوجدت فيها حبوباً صغيرة ومستديرة كان، بدون شك، يأخذ منها قبل ان يأوي الى النوم فتخفف من اوجاع رأسه.
- الن ترتدي قميصاً قبل ان تنام؟
فهز بحاجبيه وقال:
- لا، فسرعان ما سأشعر بالحرارة. انا اجمالاً انام هكذا.
- لا تنسى اني ممرضة ومعتادة بالتالي على هذه الأمور. لا تزعج نفسك من اجلي.
ثم تركته واتجهت نحو الباب وهي تقول:
- لن اتأخر. لكن اذا كنت نائماً ابان عودتي فلن ازعجك.

كان في سريره يتحسس الوسائد، وقال لها قبل ان تخرج من الغرفة متجهة نحو المطبخ:

- لو تعديني بالعودة بكأس من المشروب بدلاً من الشوكولا، ابقى صاحياً بانتظارك.

- اكرر لك بانك قد شربت ما يكفي لهذه الليلة. وربما يكون الاكثار من المشروب هو الذي يصيبك بالكوابيس.

- اذن سترغميني على ابتلاع شوكولا ساخنة تماماً مثل الاطفال.

- شوكولا مع القرفة.

وغادرت الغرفة والابتسامة ترتسم على شفتيها وتوجهت الى المطبخ الذي كانت تتذكره جيداً وتتذكر كيف كانوا يرتبونه بتأن وعناية.

وقفت انجي وهي تحدق بالمطبخ بانتظار ان يسخن الحليب الموضوع على النار. في هذه الاثناء، راحت الذكريات الحلوة عن الأيام التي قضتها في هذا المنزل تتوالى في ذاكرتها وتنساب كانسياب الماء في الجدول.

لقد تذكرت الأيام التي كانوا يمضونها في حرية تامة يعدون ويلعبون في الجزيرة وعلى الشاطىء ثم يدخلون جميعاً الى المطبخ ليأكلوا الحلوى ويشربوا العصير.

ومرت في ذاكرتها صورة رايك بالذات وهو يجلس الى طاولة المطبخ ليشرب ضاحكاً بمرح وسعادة وعيناه تكادان تقولان: كلهم اولاد.

قالت انجي بينها وبين نفسها: الله، كم تغير طبع هذا الرجل بعد اصابته. تنهدت فيما كانت تخلط الحليب بالشوكولا مضيفة القرفة والسكر اليها، وجدت علبة بسكويت فأخذت بعض القطع ووضعتها في صحن. حملت فنجان الشوكولا والصحن على صينية وتوجهت الى الطابق العلوي عبر الدرج الخلفي، لئلا توقظ احداً من النائمين في المنزل. كانت مسرورة جداً لتمكنها من خدمة رايك

والاقتراب منه. بعد ان دخلت الى غرفته واقفلت الباب وراءها، احست بانها تمتلك الرجل ولو للحظة واحدة. اخذ الفنجان من يدها دون اي تعليق وراح يشرب بهدوء، مدت يدها واخذت الرسالة وفتحتها وهي تقف بالقرب منه. سمع رايك حفيف اوراق الرسالة فقال لها:

- اظن بأني سبق وقلت لك ان تضعي هذه الرسائل في احد الادراج، ايتها الجاسوسة الصغيرة.

- ان تجاهل رسائل الناس ليس تصرفاً لبقاً يا رايك. اطمئن، فأنا لا اقرأ رسائل السيدة. هذه الرسالة كتبها لك رجل اسمه توركال. . .

- توركال دوبياس.

- هل اقرأ لك ما هو مكتوب فيها؟

قضم رايك قطعة بسكويت وزم حاجبيه قائلاً:

- كنا في المستشفى سوياً.

- هذا ما فهمته من الرسالة.

ثم تابعت، دون تعليق وبصوت عال، قراءة ما كان لدى هذا الرجل من اخبار اراد ابلاغها لرايك. لقد شفي الآن على ما يبدو، وهو يكتب له متسائلاً اذا كانوا سيسمحون له بزيارة الفيللا في حال قدومه الى بايلتار لقضاء بعض الوقت، وتابع يقول بأنهما مرا في ظروف متشابهة في حياتهما التي هددتها في وقت من الأوقات اصابات بليغة. كان من المفيد ان يتكلما عن خوف مشترك وعن امل واه في مستقبل غير مستقر.

طوت انجي الرسالة بعناية وتأملت تعابير وجه رايك وعلقت على الرسالة قائلة:

- يبدو انه شخص لطيف. هل كانت اصابته خطرة جداً؟

- اصيب بشظايا قنبلة. كانت اصابته خطرة جداً ومزعجة جداً

بالنسبة لرجل مثله.

ـ آه، يا الهي!

رغم ان انجي ممرضة الا انها ذهلت عندما تصورت ما يعنيه رايك، فتابعت وهي بحالة صدمة:

ـ لماذا تجد دائماً بعض الناس يتصرفون بهذه البشاعة والظلم تجاه غيرهم؟ لماذا يجب ان يكون العالم مليئاً بالحقد؟

ـ ان الحقد هو حصة الشيطان من العالم! انا لست فيلسوفاً، يا انجي، لكني اعلم فقط بأن الشيطان موجود بيننا ويبث سمومه وهناك الكثير من المجانين وضعفاء النفوس الذين ينفذون رغباته، نحن كجنود، يلوموننا ويعتبروننا من هذه الفئة، لكن هذا ليس صحيحاً ان الجندية لا تختلف كثيراً عن التمريض فهي ايضاً مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمبدأي الخدمة والانضباط. اضيفي الى ذلك انها مهنة ذات مدخول متدن. واترك ان تستنتجي لماذا ندخل الى سلك الجندية!

وضعت انجي يدها على شفتيها لتمنع تأوهاً سيصدر عنها. فهي تعرف تماماً بأن رايك لن يعود الى الجندية. لذلك يجب تحويل صلابته وقوة ارادته نحو معركة من نوع مختلف.

ـ يجب ان ترد على هذه الرسالة. اذا امليت الجواب علي، فربما استطيع ان ارسلها بالبريد غداً.

فهز رأسه قائلاً:

ـ لا. ان لم اجب عليها، فلن يأتي دوبياس الى بايلتار.

ـ ولم لا يأتي، يا رايك؟ انه يمد يده الى صديق.

ـ ونِعم الصديق. اعمى يقود مشوهاً! انها صورة جميلة، اليس كذلك؟ هل تقترحين ان نتناوب في البكاء على ما فقدناه، انا فقدت بصري وهو رجولته؟

تراجعت انجي قليلاً وهي تراقب رايك يبحث عن سيغاره، فلم تحاول مساعدته. اخرجه من العلبة ثم راح يبحث عن الولاعة التي

قدمتها له هذه المرة، فأشعله وراح يحدق في المجهول.

ـ ان البكاء لم يؤذ احداً في يوم من الأيام، الا اذا كنت تعتبر نفسك بمنأى عنه؟

ـ اقتربي مني قليلاً فأثبت لك بأني لست من النوع الذي يبكي. الست انت من قال لي بأن عاهتي لا تقلل من قيمتي كرجل. والرجال لا يبكون عندنا، يا آنستي.

صمت قليلاً فيما كان دخان سيغاره يعبق في الغرفة وقال:

ـ اذن انت تنصحينني بالاجابة على رسالة توركال، اليس كذلك؟

ـ انه افضل ما يمكن ان تفعله يا صديقي.

ـ قد لا يكون من الحكمة ان افعل هذا، انجي. ربما وجدت نفسك فجأة امام مريضين بدلاً من مريض واحد.

ـ اعتقد بانه سيكون علي ان اتابع مهمتي. ان الشرط الأول لكي تكون الممرضة ممتازة هي ان تكون انسانية وراغبة في مساعدة الآخرين.

فقال رايك ضاحكاً:

ـ اللهم ابعد عني هذه الممرضة الفاضلة! بالرغم من الشوكولا الساخن فأنا لا اظن بأني سأنام الآن. اديري الراديو، فربما كانوا يبثون مباشرة احدى حفلات مصارعة الثيران من مدريد.

ـ مصارعة الثيران؟!

ـ نعم، اعتقد انكم تكرهونها في انكلترا، اليس كذلك؟

ـ انها لعبة متوحشة.

ـ تماماً، لكن الحياة متوحشة ايضاً! افعلي ما يأمرك به المريض، ايتها الممرضة، الا اذا كنت تريدين اغاظته.

ـ لا سمح الله.

وادارت ابرة الراديو حتى سمعت صوتاً دلها على المحطة الصحيحة. انه صوت الكوريدا السابح في الفضاء. راح رايك يدخن ويستمع وهو جالس في سريره وبدا لانجيلا بأن لون بشرته

الداكن يتناقض مع لون البطانيات الأبيض.
فجأة تمتم قائلاً:

ـ ان هذا الثور هو ابن الشيطان، وتابع بصوت عال، اما زلت هنا يا انجيلا؟ ألم تخضبي وتغادري الغرفة بعد؟

ـ اني افكر بهذا الحصان المسكين الذي يواجه الثور وهو معصوب العينين.

فقال لها ببطء وتأن:

ـ اني اعرف تماماً بماذا يشعر.

عضت انجي شفتها عندما سمعته. كم كان سهلاً ان تنسى انه اعمى لانه كان يبدو قوياً وكبيراً. كانت تسبح في افكارها فانتفضت عندما كلمها بعد صمت طويل:

ـ لا تحزني، يبدو انهم قرروا الا يقتلوا الثور.

كانت ترمقه بنظرات الأسى واحست بحزن وغم شديدين.

كانت تصدح في الراديو، وسط زئير الجماهير المحتشدة في الملعب، موسيقى التوريرو الشهيرة. ولم تدرك ما الذي جعلها تحس فجأة بالخوف على رايك، فراحت تضرع الى الله من كل قلبها كي يحفظه. لقد كان رايك شجاعاً، والشجعان يجب مكافأتهم.

ـ باستطاعتك اقفال الراديو الآن. لقد كنت شجاعة ببقائك حتى النهاية.

اقفلت الراديو وساد السكون في الغرفة. تنهد رايك قائلاً:

ـ اتمنى على الله...

فقاطعته قائلة بحنان:

ـ اعلم، يا صديقي.

انحنت عليه تداعب شعره بيدها ثم وضعتها على جبينه فأحست انه محموم. انتابها القلق فسألته:

ـ هل تشعر بألم في رأسك؟

ـ انه ألم خفيف في هذه الجهة، واشار الى اصابته، لا اريد ان

اتناول اية حبة من هذه الحبوب اللعينة. انها تجعلني انام كالميت وعندها تنهال علي الكوابيس. انت لن تحبي احلامي يا انجيلا. اتصور ان كل احلامك تدور حول الحب والرومنطيقية، اليس كذلك؟

ـ بالطبع، فنحن معشر الممرضات، احلامنا حارة وجميلة.

لقد كان بامكانها ان تتكهن ما هو نوع الكوابيس التي يتعرض لها رايك اثناء نومه. وتعلم بأن احلام المكفوفين اغنى من احلام المبصرين، ولكن معالجة الموضوع الذي كان يؤرق رايك لم تكن في متناول يدها. ان عامل الوقت سيلعب دوره في هذا الموضوع. مع مرور الوقت سوف تدفن ذاكرة رايك حادثة الانفجار المروع وتبقى في النهاية مجرد ذكرى مثل غيرها من الذكريات.

ـ هل لديك شخص ما بانتظارك في انكلترا؟ شخص عزيز تسيرين معه يداً بيد وتتكلمان وتضعان خططاً للمستقبل؟ طبيب شاب، ربما.

ـ لا، ليس هناك شخص محدد، فقط اصدقاء عاديون مثل الجميع، نخرج ونسهر سوياً.

حدقت انجي في العينين المطفأتين اللتين لا يمكن لاحد ان يستنتج ما يدور في رأس صاحبها، وفي الوقت نفسه احست بنبضها يتسارع. لقد رغبت فجأة في لمس بشرته الداكنة وتقبيل جروحه الناتئة، لكنها تراجعت في اللحظة الاخيرة.

لقد كان سيباستيان اجمل من رايك بكثير. لكن رايك بالمقابل كان يتمتع بجاذبية لا يتمتع بها سيب. لقد كان بطوله الفارع ولونه الأسمر يشابه مصارع الثيران في حلبات مدريد الشهيرة.

ـ لا بد انك تعبة جداً. لكن قبل ان تذهبي الى غرفتك، هل بامكانك ان توجهيني نحو الحمام؟

اجابته على الفور:

ـ بكل تأكيد، واضافت ضاحكة، رغم انه ليس المكان الانسب

الذي يمكن ان تتوجه اليه. ان الحمامات امكنة خطرة، اليس كذلك؟ فكثير من الاشياء الغريبة والمريبة تشاهد فيها.

ازاح رايك البطانيات عنه وانتصب واقفاً بسرعة البرق. فاصطدم بانجي التي لم تكن قد تحركت من مكانها بعد. فلمس بيده، وبطريقة لا ارادية، فستانها فاعتذر فورا بالاسبانية.

- عفواً. أليست جميع المشاهد مزعجة، اليس كذلك؟

احمر وجهها عندما امسكت بيده لتقوده الى الحمام. يا الله! كم يبدو طويلاً، ليناً وداكن اللون! دون شك كان يبدو وسيماً جداً في لباسه العسكري.

بدأت تفكر بالرسائل التي وضعتها في الدرج بقرب سريره، وراحت تتساءل عن مدى العلاقة التي كانت تربط رايك بكاتبتها، قبل ان يقرر بأنه كرجل اعمى لم يعد يصلح لأي شيء.

- رايك، منذ صباح الغد سوف تبدأ بتحسس كل زاوية من زوايا المنزل. وتركز على الامكنة التي تستعملها اكثر من غيرها. سوف تتحسسها غرفة غرفة من الاسفل الى الاعلى. لن تترك فيه زاوية، هذه هي الطريقة المثلى.

- انجيلا، انت تمزحين بلا ريب.

- انا لا امزح، انما اتكلم بجدية تامة.

ثم اخذت به من يده وسارا نحو غرفة الحمام. وراحت تبعده عن الرفوف المعلقة في الداخل، لئلا يصطدم بها فتجرحه وقالت له:

- ستغتسل اولاً، ثم تنظف اسنانك؟

فعلق على كلامها بسخرية قائلاً:

- ارجوك، ايتها الممرضة، هل اتبع الترتيب نفسه الذي اعلنت عنه؟

وضعت يده على حافة المغسلة قائلة:

- هذه هي المغسلة الى يمينك، هل يمكنك ان تتابع بمفردك؟

فاجابها بخبث:

- اكون مسروراً جداً لو تابعت مهمتك حتى نهايتها.

- انا متأكدة من انك ستسر. سأنتظرك خارجاً.

خرج من الحمام بعد دقيقتين وكانت آثار معجون الاسنان تغطي ذقنه. حاولت انجي ان تمسحها له بواسطة منديل كان في يدها. ثم قادته ثانية الى غرفة النوم وهي تقول له:

- انا مصممة على تنفيذ ما قلته لك منذ دقائق حول تحسس غرف المنزل.

- انجيلا، لقد عشت هنا كل حياتي!

- تماماً، هذا صحيح، لكنك عشت كشخص مبصر.

شاهدته وهو يطبق جفونه ويقول لها:

- انت صريحة جداً، انجي. انا اتذكرك طفلة لينة العريكة، واعتقد بانك كنت تخجلين مني في تلك الأيام.

- لقد كبرنا جميعاً يا رايك. ولا اعتقد بأنك تتصورني ابقى طفلة فيما اصبحت انت رجلاً.

- الحق معك. رغم ان الذكريات لا تمحى بسهولة من راسي.

- احب ان اتذكر كيف كنا نلعب بفرح ونختفي كالاشباح ثم نعود لنظهر فجأة. كنت كلما غادرت بايلتار احس بأن الشمس سوف تموت. ولم ادر حتى الآن ما سبب هذه الاحاسيس الطفولية.

- هل عدت من اجل دفء شمسنا التي بالكاد تغيب يا انجيلا؟

- ان شمس الجزيرة هي احد الاسباب التي دعتني للعودة.

- احد الاسباب؟ هذا يعني ان هناك اسباباً اخرى.

- اصدقائي. كنت دائماً موضع ترحيب هنا وخاصة بعد وفاة عمتي العزيزة.

حتى امام رايك، اختارت انجي ان تكون امينة للمرأة التي كانت امها، فلم تفش السر.

- لم تكن لك يوماً عائلة كبيرة، اليس كذلك؟

ثم فتح جفنيه وقال لها:

- انت ملاك يتيم، أليس هذا صحيحاً؟
- اذا اردت!
- هل عاملتك العائلة هنا معاملة جيدة؟
- لا بل ممتازة. انا احب ان افكر دائماً في هذا الأمر. ان والدك هو الانسان الأكثر نبلاً والأكثر كرماً الذي عرفته في حياتي. انه اسباني كبير حقاً.
- كلامك صحيح تماماً.
وفيما كان يتحسس طريقه الى السرير متلمساً حافته الخشبية المحفورة على الطريقة الاسبانية قال لها:
- بناء على اصرارك، ايتها الممرضة، علي ان اتعلم ان ادبدب حول المنزل في هذا العمر.
- هذا لن يكون ضرورياً. ان اللمس سيكون استاذك وطريقك الى الاشياء. ان اطراف اصابعك سوف تقوم بالمهمة. يجب ان تصبح واثقاً من مقدرتك على السير بحرية ودون اية اعاقة في منزلك. مع تكرار هذه المحاولة لعدة ايام سوف تحفظ جميع الأشياء في ذاكرتك ويصبح بمقدورك التوجه الى اي مكان تشاء.
- هل ستكون غرفتك من ضمن هذه الأماكن؟
- اعتقد ذلك. فربما احتجت الي في بعض الأوقات و. . .
- وماذا؟
ها هي مرة اخرى في موقف حرج. بدا لها انه من المستحيل ان يكون المرء حيادياً مع رايك. ان كل ما يقال سرعان ما يأخذ معنى مختلفاً عن المقصود.
وراح رايك يئن قائلاً:
- يا الهي، كم هي مؤلمة هذه الحياة عندما يكون علي دائماً ان اتلمس طريقي في الظلام للوصول الى مرادي. انجيلا، انت اقل من خيال بالنسبة الي.
- انت! انت تقول اشياء جميلة وناعمة يا صديقي. يبدو انك،

وتابعت ضاحكة، بدأت بالعودة الى طبعك السابق. كنت اظن ان الرجال الاسبانيين يتغزلون بالنساء وليس بالممرضات.
- اخبريني، هل اصبحت جميلة؟
- لا!
فاضطربت رموش عينيه وهو يقول:
- حسناً، هذا تواضع لم اتوقعه ولم يسبق لي ان سمعته من اية امرأة. على كل، سوف اتأكد من هذا الموضوع بواسطة سيب عندما سأراه. . .
وتوقف فجأة واسودّ وجهه ثم تابع:
- لن ارى وجه اخي مرة ثانية. لعن الله تلك القنبلة لانها لم تقتلني على الفور! لقد كان الوضع افضل بالنسبة للذين كانوا معي: ضوء ابيض ساطع ثم . . . لا شيء. رفع يده اليمنى الى عينيه، اشعر، في بعض الأوقات، برغبة جامحة في اقتلاعهما من محجريهما!
صرخت انجي لتشد من عزيمته:
- رايك!
لقد خطر ببالها ان تقفل باب الغرفة وتشدد من عزيمته. لكنها تذكرت بأنها لو فعلت، ربما رمى بها دون كارلوس خارجاً مع امتعتها.
- هل تعلمين بماذا افكر يا انجي؟
- لا، اخبرني.
- لن ارى ابداً امرأة امامي.
- هذا صحيح، لكنك تستطيع ان تتلمسها، وتابعت مترددة، ارأيت، انت لم تخسر كل شيء!
ولامست يده ذراعها حتى الكوع فقال:
- ان بشرتك ناعمة الملمس ورقيقة.
لقد كان واقفاً قربها فلاحظت ان سمعه الحاد لا بد وان يلتقط اضطراب تنفسها. فسحبت ذراعها وابتعدت عنه قائلة:

- سوف اعيد ترتيب سريرك لكي تستطيع العودة اليه . فانت تبدو متعباً جداً .

- انا متأكد من اني ابدو مزعجاً وغير مقبول . هل اخيفك؟

- لو اقترب مني صقر الى هذه المسافة لأخافني ايضاً .

وتابعت اصلاح البطانيات رغم ان قلبها كان يخفق بشدة . طوال طيرانها فوق الشاطىء الاسباني واثناء رحلتها البحرية الى هنا كانت تتساءل عما اذا كانت لا تزال تحبه . اما الآن فان هذا الحب هو الشيء الوحيد والأكيد الذي لديها .

لم تتأثر طوال حياتها بشخص لدرجة ان ترتجف قدماها وتصبحا غير قادرتين على حملها ، الا عندما قابلت رايك .

- صقر؟ لكن الصقر يرى فريسته عن بعد نصف ميل .

- هل يجب علينا ان نعود دائماً الى الموضوع نفسه . انا ارى بأننا بدأنا باجترار هذا الموضوع .

- يسهل عليك ان تقولي هذا . فما الذي تعرفينه عن الموضوع . ما انت الا طفلة صغيرة اتت الى هنا لأنها تظن بأن عليها ديناً لوالدي بسبب كرمه وطيبته معها في الماضي ، وتتصور بأنه آن الأوان لكي ترد الجميل!

فامسكت بأصابعها حافة السرير وانتفضت صارخة :

- هذا ليس صحيحاً يا رايك!

لم يكن رايك في حالة تسمح له بان يحب اياً كان ، فجلّ ما كان يريده الآن هو ان يكره الجميع . ولم تحتمل فكرة كرهه لها ولا فكرة استعمالها كوسيلة للتخفيف من حدة المه .

- ما هو الصحيح اذن؟ ان ابي الحاكم رجل جذاب ، هل تميلين اليه؟ هل لك تأثير عليه؟

تراجعت كمن صفعت على وجهها وقالت :

- آه ، ما هذا الكلام الذي تتفوه به! ليس من الضرورة ان تكون قاسياً وفظاً مع الناس . . . فكر ، بالآلام التي تحملها صديقك

توركال دوبياس .

- هذا صحيح .

زال الغضب تدريجياً عنه فجلس على حافة السرير . وضع راسه بين يديه وراح يحدق في الأرض ، ثم قال :

- سوف اجعلك تكتبين رسالة لتوركال . انه يعيش في الجحيم . هل النوافذ مفتوحة؟ اشعر باني سأختنق ان لم اتنفس هواء البحر!

توجهت انجي نحو النوافذ التي كانت مفتوحة . وكان الهلال يلوح في العتمة الداكنة فوق البحر ، ونسيم المساء مشحوناً بألف رائحة ورائحة من الفل الى البنفسج الى الغاردينيا وكل روائح الزهور التي تفوح من الحديقة الملحقة بالمنزل .

كانت الحديقة جميلة دائماً ، في موقعها على الهضبة المشرفة على المحيط .

بدا لها ان كل شيء هنا ما يزال على طبيعته فأخذت نفساً عميقاً وراحت تتأمل جمال اشجار الحديقة وبعضها من النوع الاستوائي وسبحت في افكارها بعيداً كما في كل مرة .

منذ ست سنوات وهي تحلم بهذا المنزل وها ان الحلم يتحول الى حقيقة . المنزل بقي على حاله ولم يتغير رغم ان كل شيء حوله كبر مع مرور الزمن . تذكرت ايضاً كنيسة العائلة الخاصة ذات القبة التي نبتت عليها ازهار الزيزفون والاقحوان . ان مجرد التطلع الى هذه المشاهد يخطف البصر في وضح النهار . اما في الليل فالعتمة تشارك في جرم اخفاء جمال الطبيعة .

كانت تشعر بأن في عودتها الكثير من الغرابة . فيها مزيج من الحزن والفرح . فرايك لم يعد يهرول في غرف المنزل كالسابق بل اصبح يمشي بتأن تصاحبه كلمة «انتبه» مع كل خطوة ، كأنه يخطوها نحو المجهول . . . نحو الظلام . فجأة قطع حبل افكارها حركة وسؤال :

- اما تزالين هنا ، يا عزيزتي؟

- انا هنا، وتابعت وهي تستدير، الى ان لا تعود بحاجة الي.

لم يعقب على كلامها بل جلس في سريره وعقد راحتيه خلف رأسه مستنداً الى الحافة. لقد كان بامكان انجي ان تنظر في عينيه مباشرة دون ان يدري.

فجأة بادرها بالقول:

- هل ستوجهين الي . . . ضربة الرحمة اذا اصبت بالجنون؟

احست بقلبها يتوقف عن الخفقان ويجفاف في حلقها فلم تتمكن من الاجابة.

- اجيبي، هل تفعلين؟

فتمتمت قائلة:

- لست . . . لست ادري.

- هل صدمتك يا انجيلا؟

- ان كلامك انهزامي، يا صديقي. عليك ان تفكر بأنك ستتحسن، لا بل عليك ان تحاول ان تتحسن.

- وما هو الهدف؟ ومن اجل ماذا؟

وراح يجول ببصره في الغرفة على غير هدى، واستقرت عيناه على مكان في الحائط بين النافذتين حيث علقت لوحة زيتية. كانت انجي اكيدة بأن هذه اللوحة رسمها ميب ايام كان يرغب في ان يكون فناناً. اما بالنسبة لرايك فان هذا التردد حول مهنة المستقبل لم يكن موجوداً. كان منذ البداية يعشق مهنة السلاح. . . والآن يتساءل عما اذا كانت انجي مستعدة لقتله اذا تسببت شظايا القنبلة التي اصيب بها، باصابته بالجنون.

- انت لم تنته كرجل بعد، ولست مدمراً. بحق الله لا تزيد من صعوبة مهمتي. انت مقاتل ولست مسالماً، فأنا ارجوك ان . . .

ولم تتمكن من متابعة كلمتها لأنها غصت بالدموع التي كانت تنهمر من عينيها. مسحت هذه الدموع بسرعة كما لو كانت امام شخص مبصر باستطاعته ان يراها.

- ماذا يستطيع جندي كفيف ان يفعل عندما لا يكون قادراً على اطلاق النار؟

- يستطيع ان يجلس ويبدأ بتحضير حياته الجديدة بشكل ايجابي وبناء.

- وكيف يكون هذا؟

- بكل الطرق والامكانات المتاحة.

- مثل ماذا؟

- تستطيع ان تتمرن لتصبح محامياً مثلاً.

- هذه مهنة بحاجة الى دماغ.

- وانت لا ينقصك الدماغ ولا الذكاء.

- هذا كان سابقاً، اما الآن فان في رأسي قنبلة موقوتة يمكن ان تنفجر في اية لحظة. علي ان اواجه هذا الأمر، وعليك انت ايضاً تترتب ذات المسؤولية. يجب ان تعديني بأنك، وفي حال اصبت بالجنون، ستضعين مسدسي في يدي لأتمكن من انهاء حياتي.

فصرخت فيه:

- هذا محال! لا يمكن!

بدا متوتراً جداً وغاضباً حين قال:

- انا اطلب هذا. ليس هناك احد سواك وعليك ان تقومي بالمهمة. عليك ان تقومي بها حتى لو كنت انا في حالة لا تسمح لي بالاختيار. ليكن معلوماً لديك بأنني اخترت الموت على الجنون منذ الآن. يا الهي، في المستشفى، حيث كنت، رأيت اشخاصاً مصابين بالجنون ويهلوسون طوال الوقت، في حين ترين عائلاتهم خائفة من رؤيتهم على هذه الحال. هذا شيء لا استطيع ان اواجهه، لا استطيع!

فقفزت فجأة نحوه واخذت رأسه بين يديها وضمته الى صدرها بصورة لاشعورية قائلة:

- يا عزيزي، ايها المسكين، لا يجب ان تفكر وتقول هذه الاشياء

المخيفة. من الآن وصاعداً سأمنعك عن هذا!

دفن رأسه في صدرها وضغط بشدة حتى كادت تختنق فقال لها:

- كيف ستمنعينني؟ انا لم استطع منع نفسي من التفكير في هذا الأمر. انني في حالة يأس مطلق. . . لا ارى الا الظلام ولا استطيع التمييز بين الليل والنهار. الساعة الواحدة بعد الظهر لا تميزها الا حرارة الشمس على جلدي، عن الساعة الواحدة فجراً. هذا مريع يا انجيلا. . . الظلام يلفني، يخنقني، انه في داخلي ولا يمكن ان توقفه الا رصاصة.

- لا ارجوك!

وامسكت بشعره فأحست بالعرق يغطي يدها. كان لا يزال يرتجف كمن اصيب بالحمى. راحت تهزه وتتمتم له كأنه طفل حتى انتفض فجأة، وبكل ما اوتي من قوة وحيوية، رماها على السرير وعانقها عناقاً طويلاً. . . طويلاً. تركته يفعل هذا وكانت قد قررت، عن تصور وتصميم، ان تبقى معه ان اراد لتخفف عنه وطأة ظلامه الدائم وخوفه وعدم ثقته.

ما ان انتهى من عناقها، حتى دفعها بعيداً عنه بقوة، فكادت تقع على الارض. التوت قدمها اليسرى من جراء هذه الدفعة، فآلمتها وصرخت، فقال:

- ارأيت، انا لا انجح الا في ايذاء الناس. ولا اريد ان اضحي بك هنا من اجل رغبات زائلة! اذهبي الى غرفتك انجيلا. لقد تعبت فجأة واريد ان انام. اتمنى لك احلاماً سعيدة.

لم تناقشه، بل وضعته في سريره واطفأت المصباح فألقى القمر نوره على وجهه الحزين. قالت له وهي تغادر الغرفة:

- اذا اردت شيئاً خلال الليل، انا في الغرفة المجاورة فلا تتردد في مناداتي. ان الممرضات ينمن كالقطط، بعين مفتوحة. تصبح على خير يا رايك.

غادرت بصمت وردت الباب وراءها لكنها تركته مفتوحاً قليلاً

لتسمعه في حال مناداته لها. دخلت غرفتها، جلست على حافة السرير وخلعت حذاءها. لقد احست بأنها افرغت عاطفياً هذا اليوم، لكنها معتادة على هذا الأمر. على كل، ان التمريض مهنة صعبة وهي مهنة اختارتها بملء ارادتها. كانت تعرف بأنها ستنام كالقطط، بحذر وبانتظار اقل حركة او تمتمة من المريض المكلفة بعنايته. لذلك لم يكن بامكانها ان تتذمر من شيء يعتبر من صلب مهمتها. ان رايك في حالة يأس خطرة اكثر مما يتصوره افراد العائلة. بسبب صرخة صغيرة، ارتجفت، لأنها عرفت من خلالها بأن رايك ما زال في حالة صدمة، فأثر هذا الألم في اعمق اعماق نفسها. انه الحب ولا شيء سواه. الحب المنزه عن الاهواء وعن المنافع والغايات المادية والشخصية. الحب الصافي كما اراده الله لعباده. الحب الذي حفظه الله لرجل انتفض بيأس صارخ على عاهته. شعرت انجي فجأة بأنها تغرق في اليأس لكنها راحت تقاومه وفي نفسها ايمان كبير وامل بالله عز وجل. لقد قررت بانه ابتداء من الغد صباحاً سوف تخرجه من الفيللا وتتنزه واياه في ضوء الشمس الساطعة ليشعر بها على بشرته. كما قررت ان تمارس واياه السباحة، وهي الرياضة التي يجن بها، وستاخذه ايضاً الى المدينة لتجعله يستمع الى صخب الحياة وضجيجها الهادر.

لن تسمح لنفسها بأي شكل من الاشكال بأن تتقبل فكرة الانتحار التي تكلم عنها والتي يتكلم عنها دائماً عندما يكون في حالة قنوط. كذلك لم ترغب في الاعتقاد بأن احتمالاً من هذا النوع يجب ان يواجهها في يوم من الأيام.

لقد قررت ان تعيش مع رايك كل ساعة بساعتها وكل يوم بيومه.

رفع قرارها هذا من معنوياتها قليلاً فتوجهت نحو كتاب الله الموضوع على وسادتها، ففتحته وركعت وصلّت طالبة منه ان يبقي عليه.

سيكون الله رحوماً ويبقي على رايك دي زالدو.

٥ - عواطف في الأرجوحة

ابتدأ يوم انجيلا باكراً لانها معتادة على النهوض مع شروق الشمس. فاستحمت ولبست ثوبها الازرق ووضعت قبعة الممرضات على رأسها ثم توجهت بهدوء نحو غرفة رايك لترى ما اذا كان لا يزال نائماً.

كان، في بعض الأوقات، يستلقي في فراشه دون حراك تغطيه البطانيات. وهذه اشارة الى انه امضى ليلة متوترة. وفي اوقات اخرى يجلس في سريره صاحياً يدخن سيغاره الاسود. وكانت عادته الصباحية هذه دليلاً على ان ادراكه الحسي لعاداته وللأشياء المحيطة به، لا يزال ممتازاً.

هذا الأمر اعطى انجي، بلا شك، خيط امل لتتمسك به. لكنها

في الوقت نفسه لم تكن ترغب في انهاكه بالتمارين، فاكتفت بالاصرار على اتمام تدريبات اللمس اليومية. كان يتحسس يومياً زوايا المنزل الذي ولد فيه حتى يتمكن من حفظ التفاصيل الصغيرة.

بسبب اصابته في عينيه، كان لا بد له من الاعتماد على حواسه الاخرى، التي ستتطور بالنتيجة الى درجة تمكنه من التجوال في المنزل وصعود الدرج بكل حرية وثقة وتمكنه من معرفة مكان وجوده. وهنا سيكون اعتماده الاساسي على حاستي اللمس والشم وعلى غريزته ايضاً.

سرت انجي عندما علمت انه بدأ يهتم جدياً «باللعبة»، كما يحلو له ان يسميها. لقد انتهى من التمرن على الطبقة السفلى بكل غرفها. وكان افراد العائلة والخدم اعتادوا على رؤيتها وهي تدربه على استعمال طريقة برايل في اللمس وحفظ تفاصيل الأشياء والغرف والممرات. كان يمشي خلفها متحسساً بيديه الاثنتين، الاثاث والزوايا الى درجة انه اصبح بمقدوره ان يوهم الغرباء والضيوف الذين يأتون الى المنزل بأنه يرى طريقه بوضوح.

ومن وقت لاخر يعود للغرق في مأساته فيقضي اوقاتاً طويلة دون ان ينبس ببنت شفة. ثم يبدأ بالشرب وينتفض ثائراً وساخراً اذا ما حاولت اعتراضه:

- اذهبي الى الجحيم، يا انجيلا ولا تزعجيني بعظاتك ألتي لا تنتهي.

كان يقول لها دائماً هذا الكلام بكل وقاحة ضارباً بكل القيم عرض الحائط. حاولت ان تخفي عنه زجاجات الشراب. لكنه كان دائماً ينجح في الحصول على عدد منها، فشكت في ان تكون ايزابيل هي التي تحضرها له خلسة.

فكرت بانه سيكون من الأفضل اطلاع دون كارلوس على حقيقة الوضع. لكنها لم تكن تحب الوشاية، ولا تريد ان يعتقد الدون بأنها لا تستطيع السيطرة على مجريات الأمور.

لم تكن تملك الا التمني بأن يتوقف رايك من الشرب عندما يلاحظ بانه قد بدأ يتحسن ويسير قدماً في صراعه مع الخوف والكبت والسواد.

في هذا الصباح، ادارت انجي الراديو في غرفتها وابقت صوته خفيضاً فيما كانت تتحضر للبدء بالعمل. كانت المطربة دوريس داي تغني بطريقتها الفريدة والمميزة اغنية عنوانها «سأحبك دائماً»، فأحست انجي بغم عندما سمعت العبارة التالية:

- ان حبي لك سيستمر . . . سخياً. كنهر هادر. . . حتى نهاية الزمن.

وقفت امام النافذة، والمشط في يدها، تتأمل السماء النقية الزرقاء والبحر الهادىء كالزيت تلتمع صفحته بانعكاس اشعة الشمس. ما ان انتهت الأغنية حتى اطفأت الراديو متنهدة. لقد كانت بطبيعتها تحب الاغنيات الشاعرية الميلودرامية، وتعتبر بأن هذا النوع من الأغنيات ينطبق نوعاً ما على الواقع.

ان الحياة لها جوانب ميلودرامية، كالجانب الذي تحياه هي الآن. انها ممرضة تحب وتعتني بجندي جريح واعمى قد لا يبقى حياً بسبب خطورة اصابته. عندما تكلمت مع الدكتور رومالدو وتسلمت منه التعليمات المتعلقة برايك، سألته عن امكانات النجاة، فرد عليها الدكتور الاسباني بالقول: من يعلم؟ وهذا ما ابلغته لدون كارلوس. لقد اعتقدت انه من الأفضل ان اخبره الحقيقة، وألا اعلله بآمال كاذبة. لا تزال بعض الشظايا داخل رأس رايك، ولم يكن بالامكان ازالتها لخطورة العملية. ان الطبيب الجراح توقع ان يحيا حياة طبيعية لمدة ستة اشهر. لكن الطبيعة ربما اطالت هذه الفترة عدة سنوات. ان ما يحتاج اليه رايك الآن هو الرغبة والقدرة على مواجهة العالم وهو كفيف.

ان هذا البحر، قالت انجي لنفسها، جميل. كلوحات ترنر الزيتية. بامكان رايك ان يشتم رائحته وبامكانه ان يسمع صوت

العصافير التي تطير فوقه، ولكنه لم يعد يستطيع ان يراه، ولا ان يحدق بالشمس القوية التي تنعكس اشعتها على صفحته. ان هذا بدون شك، فوق طاقة الانسان على الاحتمال. واصعب ما يمكن ان يمر به انسان هو ان يرى شيئاً ما امام عينيه ثم، فجأة، يختفي هذا الشيء ليحل محله ظلام دامس. فيشعر آنذاك كأنه وقع في فخ ابدي ويبدأ بالاعتماد على ذاكرته لتستعيد اشكالاً قديمة وصوراً لما يمر امامه يومياً.

ان هذه هي الطريقة الوحيدة ليشعر بها الكفيف بأنه لا يزال منتمياً الى عالم أليف. دخلت انجي غرفة رايك فوجدته قد خرج الى الشرفة واستند الى درابزينها يتأمل البحر. كان يدخن سيغاريللو كعادته ويلبس قميصاً حريرياً مفتوحاً على الصدر.

- صباح الخير يا رايك. هل امضيت ليلاً مريحاً يا صديقي؟

- لم يكن سيئاً جداً. وتابع قائلاً، يبدو انه صباح جميل ومشرق.

تصاعد دخان سيغاره بكثافة في الفضاء تاركاً وراءه رائحة مميزة رغم النسيم العليل.

- ان توركال دوبياس سيصل اليوم. ولقد وعدناه باستقباله على المرفأ.

ابتسم قائلاً:

- اذكر تماماً. سوف نخرج للقائه بعد تناول طعام الفطور، واردف قائلاً، سنتناوله على الشرفة، اليس كذلك؟

- بالتأكيد.

ما زال يرفض ان يتناول الطعام مع العائلة، رغم انه تراجع عن قراره هذا مرة او اثنتين. كانت انجي تتناول الفطور معه دائماً، ثم يأتي خادمه ليساعده على الحلاقة وارتداء ملابسه. مع مرور الوقت، اصبح قادراً على ارتدائها بنفسه. اما بالنسبة للحلاقة فهو يقوم بهذا العمل مرتين في النهار، بمساعدة الخادم، لأنه يستعمل ماكنة كهربائية.

كانت هناك صلة وثيقة بين رايك ودون كارلوس، ومع ذلك فقد لاحظت انجي انه كان دائماً قطعياً مع والده ولم يكن يخبره بالمخاوف التي كانت تنتابه ليلاً، فتجعله يتصبب عرقاً وتجعل قلبه يقفز في صدره. كعصفور جريح.

لقد تخيلته مراراً وهو يرجوها قائلاً: لا تخبري احداً. . . لا اريد لوالدي ان يقلق اكثر مما هو قلق. تكفيه اعماله ومسؤولياته. ابقي موضوع الكوابيس هذه سراً بيننا.

فجأة سألته فيما كان يحدق بالشمس دون ان ترف جفونه:

ـ بماذا تحلم هذا الصباح؟

ـ احلم بالقهوة والفواكه والمربى التي سيأتون بها بعد قليل.

ـ تبدو جائعاً هذا الصباح، يا صديقي.

ـ بالتأكيد! اسمعي، اما زلت مصرة على هذه التمارين اليومية؟ لا بد انك الآن قد حفظت كل تفاصيل المنزل من كثرة هذا الدوران.

وتبسم، فردت الابتسامة وقالت:

ـ انه منزل قديم وجميل. خليط من الهندستين الاسبانية والافريقية الشمالية. مثلك تماماً.

ـ مثلي انا؟ لكن امي كانت بيضاء اللون مثلك تماماً.

ـ اعلم هذا. لكنك مثل والدك تبدو. . . تبدو مثل. . .

ـ تقصدين اني ابدو غريباً؟

ـ نعم، بشرتك ولون عينيك و. . . ثم ارتبكت فاستطردت، لقد تأخر الافطار. سوف اقرع الجرس لكي يحضروه.

ـ انجيلا.

ـ نعم؟

ـ هل ابدو كفيفاً؟

ـ لا.

ـ ارجوك لا تأخذي ما سأقوله الآن على انه زهو او مفاخرة. . . لكنني لا اريد ان يحدق الناس فيّ عندما سأذهب الى المدينة.

ـ ان النسوة ستحدقن بك، ولكن ليس لأنك اعمى.

ثم دخلت بسرعة الى غرفة نومه وطلبت، بواسطة الهاتف الداخلي، ان يحضروا طعام الفطور مع عصير الليمون. وعندما استدارت وجدت رايك واقفاً على باب الشرفة فقفز قلبها في صدرها، واحست بأنه كلما طالت مدة وجودها معه كلما تعلقت به.

قال لها:

ـ ان المرأة التي تمدح اسبانياً انما تغامر وتلعب بالنار. ام ان هذا من صلب العلاج؟

ـ بعض من هذا وبعض من ذاك. انت نسخة مصغرة عن والدك، لذا يجب ان تعرف ما انت عليه!

ـ انت معجبة بأبي الدون، اليس كذلك، انجيلا؟

ـ انا معجبة به جداً. فهو يلخص كل الصفات التي يحبها الانكليز في الاسبانيين. له طلة رائعة، وقلب دافىء. انه انسان رائع، بكل معنى الكلمة.

ـ وانت ميالة تجاه هذا الانسان الرائع، اليس كذلك؟

ـ هذا ميل نسائي طبيعي.

ـ كنت اعتقد ان نساء اليوم يتبعن موضة العصر فلا يقمن اعتباراً لقبلة اليد التقليدية ولا لكافة التقاليد الرومنطيقية القديمة.

فقالت له باقتناع:

ـ هذا هراء،لقد عملت مع ممرضات كن يرتبطن بعلاقات مع شبان على هذا الاساس ويندمن عليها عندما يقعن في الحب الحقيقي. لقد سئمن كونهن سلعاً معروضة ومستغلة، وكنّ دائماً قلقات من ان تصل اخبارهن القديمة الى اصدقائهن الحقيقيين.

ـ هذه اشياء لم تفعليها انت ابداً، اليس كذلك؟

ـ هذه اشياء لم ارغب ابداً في ان اقوم بها. على الاقل ليس بالطريقة التي كن يتبعنها.

ـ انت تحفظين نفسك اذن بانتظار الحبيب الحقيقي. هذا مبدأ

يقره والدي بكل قوة.

- الا تقره انت ايضاً يا رايك؟ انا لا اعتقد بأنك تقدم على الزواج من امرأة كانت ملكاً لغيرك.

فتمتم مجيباً:

- لقد كان هذا ممكناً في السابق...

ثم استطرد وهو يهز كتفيه خارجاً الى الشرفة:

- اما الآن فلن اتزوج اطلاقاً. لا يمكن لامرأة ان تمتلك القوة والصبر التي تتطلبها طبيعة العيش مع شخص اعمى. ان المرأة بحاجة الى ان تكون محمية لا حامية.

تبعته انجي الى الخارج وقالت:

- لكنها قد تحبك الى درجة لا تهتم معها الى هذا الأمر.

كاد ان يغمى عليها عندما شاهدته يقترب كثيراً من حافة الشرفة، لأنها خافت ان يهوي الى الاسفل. كانت المسافة عالية وأرض الفسحة الواسعة في الاسفل مرصوفة بالحجارة. فاقتربت منه قدر المستطاع، وامسكت به من يده وجرته الى الوراء نحو طاولة الخيزران والكراسي. وما ان جلس حتى قال:

- اي نوع من الرجال ساكون! لا، لا اريد هذا الأمر. ان استمرارية اسم عائلة دي زالدو وانجاب الأولاد ستكون مسؤولية اخي سيب. انت يا انجيلا الأكثر اهلية لتشاركه في هذه المهمة. فهل اطلب من والدي ان يتدبر امر الزواج بينكما؟

- اياك ان تحاول.

وحاولت قدر الامكان ان تخفي اضطرابها والمها من المشروع الذي طرحه لتوه. لم يبد عليه بعد انه احس بانها تحبه. ان العناية التي قدمتها له اعتبرها عناية طبيعية وروتينية من ممرضة لمريضها.

- قد احاول، ثم تصبحين كأي فرد من العائلة، مثل مايا تماماً. الا تريدين هذا؟

وصمتت فيما كان قلبها يصرخ في صدرها: لا، آه لا.

- يبدو انك لست متحمسة لهذا المشروع، يا عزيزتي.

- بالفعل، لست متحمسة.

- لانك لا تحتملينني كأخ او لا تحتملين اخي سيب كزوج؟

- انا لا ارغب بترتيب حياتي على هذا الشكل، شكراً لك.

- وتتركينها للقدر ليرتبها لك؟

- الا تعتقد بانها الوسيلة المثلى؟

قال لها ساخراً:

- لا تنسي انني اسباني. وانا بالتالي اؤمن بأن النساء لا يعرفن على الدوام ما هو لصالحهن. سيب رائع، وان تحبينه لن يكون اسوأ ما تفعلينه قطعاً.

وقالت بحنق:

- قد لا يحبني. اسمع، اعتقد بأنه من الأفضل لنا ان نغير الموضوع قبل ان يتطور الى جدال!

- لا، انت اسمعي! اتعتقدين بأني لا اعرف انك خرجت مع سيب، عندما كان في انكلترا في جولة مهنية؟ لقد اخبر مايا وهي اخبرتني لانها تثق بي وتأتمنني على اسرارها. كانت ترغب بصدق ان تشكلي مع سيب فريقاً واحداً. وانا اقر بأن الفكرة بحد ذاتها اعجبتني. اعتقد بأن والدي سيوافق فوراً على انضمامك الى عائلتنا.

حدقت انجي برايك والحزن يملأ عينيها واجابته:

- نعم، لقد خرجت مرتين مع سيب وهو لا يزال ذلك الشخص الجذاب الذي عرفته في الماضي. لكنني سوف اكرهك، يا رايك، ولن اسامحك اطلاقاً اذا حاولت ان تضع في رأسه بأني ارغب بالاقتران به. على كل حال، فان هذا الأمر، كما تعلم، ليس من اختصاصك!

فقال معتذراً:

- آه، لقد بدأ الرجل الكفيف يتدخل في ما لا يعنيه اذن...

فاعترضت قائلة له بشدة:

ـ اما الآن فقد بدأت تستثيرني.
ـ انا لست لطيفاً على ما يبدو، اليس كذلك، انجي؟
ـ انت لا تبدو لي الآن لطيفاً على الاطلاق.
ـ في كل حال، لست شديد اللطافة كسيب ولا شديد التهذيب كأبي. وان كنت عدت الى الجزيرة من اجلها، فلقد دفعت غالياً عبر قيامك بتمريضي.
ـ ربما . . . ربما عدت من اجلك انت.
ـ اود ان افهم لماذا تحبين معاقبة نفسك بهذا الشكل؟ لماذا تصرين على الجلوس مع شخص كفيف؟ لماذا لا تذهبين الى سيب الذي يتمتع بكل حواسه ويطوف العالم باستمرار. انه يعيش في عالم الفن والأضواء والمشاهير والمرح الدائم، ويمضي اوقاته في الفنادق الكبرى وسيارات الكاديلاك. الا يثيرك كل هذا؟
فأجابته باستخفاف:
ـ اريد ان تتوقف عن محاولة اقناعي بالزواج من سيب. انا لست اسبانية. بل ممرضة ولديّ مهنة افكر بها تأخذ كل وقتي. والآن فلنترك هذا الموضوع جانباً ولنتناول فطورنا.
اخرجت الخادمة ماريا صينية الفطور الى الشرفة ووضعتها على الطاولة. فلاحظت انجي وجود وردة حمراء في الماء في اناء صغير على الصينية. فقالت بدهشة:
ـ انها رائعة.
ـ لقد قطفها دون كارلوس من الحديقة خصيصاً لك. قال بأنها تذكره بأغنية يحبها كثيراً وعنوانها: «وردة من انكلترا» فأحب ان يقدمها مع الصباح، يا سيدتي.
ـ نعم، انا اتذكر الأغنية تماماً، اشكري سموه بالنيابة عني يا ماريا.
ـ حاضر يا سيدتي.
وحدقت الفتاة بعينيها البنيتين برايك بمزيج غريب من الاحترام.

والخوف والشفقة. لقد بدا لها ان منظره وشكله الخارجيان لا يوحيان بأنه مريض وبالتالي يتعارضان مع الطريقة التي يتصرف بها. كمن احس بانه مراقب، امسك بيده حافة الطاولة وضغط عليها بشدة مما دفع انجي الى القول للخادمة:
ـ شكراً لك يا ماريا. ان الفطور يبدو لذيذاً، بامكانك المغادرة.
فابتسمت الفتاة وانسحبت. صبت انجي القهوة فيما كان رايك يتمتم سائلاً:
ـ وردة من انكلترا؟
ـ انها جميلة جداً. لونها كلهب النار. سوف اضعها في ياقتي عندما ننزل الى المدينة.
تلمس الطاولة ووجد فنجان قهوته بسهولة فارتشفه، ثم امتدت يداه الى فاكهة الكريب فأضاف اليها بعض السكر، وراح يأكلها مستعملاً ملعقة فضية صغيرة.
ـ امم، انها لذيذة. هل انت تأكلين الشيء نفسه؟
ـ لا، انا طلبت بعض الحلوى مع عصير الليمون. انها لذيذة جداً.
ـ هل سبق لأحد ان اخبرك يا انجي بأن صوتك رائع وبحته تلفت النظر؟
فنظرت اليه نظرة من فوجىء بهذا الكلام، فتابع كلامه ساخراً:
ـ ان الصمت يحمل في كثير من الأحيان معاني اوضح من الكلام. اعتقد انه عندما يكون بمقدورنا ان نرى وجوه الناس، لا نعود نعطي اهمية لتقلبات الصوت. هل هذا صحيح؟
ـ ان ادراكك الحسي للأمور هو ممتاز بالتأكيد.
كانت هذه المجاملة كافية لتجعله يتوقف عن الغمز واللمز حول موضوع تزويجها من سيب الذي دأب على طرحه منذ مدة.
الحب. . . انه يجرد الانسان من سلاحه فيجعله كالجالس في ارجوحة عاطفية. بصعودها تبتهج المشاعر، وبنزولها يكاد القلب

يتوقف عن الخفقان. على كل، هكذا كان الوضع دائماً بالنسبة اليها، اما صعوداً واما نزولاً ولا ثبات بين الموقفين. ان يكون المرء مع رايك، معناه ان يكون في احد مكانين: الجنة او جهنم.

بسرعة وهدوء ابدلت صحن الكريب فروت التي انتهى من اكلها، بصحن من اللحم المشوي مع الطماطم ووضعت الزبدة بمتناول يده. كان نادراً ما يخطىء اثناء تناوله الطعام معها. راحت تنظر اليه باعجاب حين كان يضع الزبدة على الخبز بطرف سكينه بطريقة دقيقة يحسده عليها المبصرون. ثم تحسس قطعة من اللحم، قطعها بالسكين ثم وضع شريحة على الخبز واكلها.

ان المبصر الذي يراه على هذه الحال قد يضحك ربما، لاعتقاده بان الأعمال التي يقوم بها هذا الرجل الضخم هي اعمال بدائية. لكن رايك يعتبرها بمثابة انتصارات صغيرة يتعلم بواسطتها كيف يكون سيد نفسه مرة اخرى، ويتأمل انه في يوم من الأيام سوف يكون بمقدوره السير وحيداً خارج منزله مستنداً الى عصاه. لقد اوعز والده بشراء كلب مدرب يرافقه في حلّه وترحاله. ان هذا الكلب الذي سيكون حارسه الأمين يتم تدريبه الآن في انكلترا ولن يكون من الممكن احضاره الى بايلتار قبل اسابيع. كان من الممكن احضار كلب اسباني لكن دون كارلوس رفض البحث في هذا الموضوع رفضاً قاطعاً لأنه يعتقد بأن مرض الكَلَب متفش بين الكلاب في اسبانيا وهو لا يريد ان يزيد الطين بلة.

لمست انجي الوردة الحمراء بطرف اصبعها. انها مجهولة الاب منذ ولادتها، لذا فهي تحسد مايا على ابيها الرائع الحنون والمحب، رغم انه منعها من الارتباط برودي. امضت مايا القسم الأكبر من صباها وطفولتها في حماية وأمان، ولم تتعود بالتالي على تحمل المسؤوليات، لذلك تعتقد انجي بأن ما جذبها في عازف الغيتار الشاب هو سحره وجماله الخلاب فقط وهي اعتبارات سطحية، لا تكتفي لاعتبار هذا الجاذب حباً حقيقياً.

قررت مايا، بناء على طلب من والدها، ان تتخلف عن حضور الحفلة التي كان سيقيمها رودي في الكوستا ديل سول، مفضلة البقاء في الفيللا. لم تكن انجي لتلومها على هذا الاختيار، فلقد فضلت البقاء في منزل رائع التصميم والهندسة.

بعيداً جداً عن هذا المكان، في انكلترا، تبدو المنازل جميلة كالأحلام. وكانت انجي تعتقد انه من المستحيل ان تشاهد امكنة بهذه الروعة والكمال في مكان آخر في العالم. لكنها غيرت رأيها منذ وصولها الى بايلتار، فهنا تعيش يومياً الحلم نفسه الذي كانت تعيشه في موطنها.

عندما يرغب رايك في التدخين وحيداً في الحديقة المسقوفة، كانت انجي تغتنم الفرصة لتتمشى وحيدة وتجازف بالدخول الى غرفة الحراسة، مفاجئة الحراس الذي يغطون في النوم عوضاً عن القيام بالواجب ومع هذا لم يكن يبدو لها ممكناً ان تتعرض عائلة الحاكم في النهار لأي اعتداء. لكن رايك كان مثالاً حياً لأحداث العنف في منطقة الباسك،هذه الأحداث المستمرة والتي لم يتمكن احد من وضع حد لها حتى هذا اليوم.

في بعض الأحيان كان يتكلم عن هذا الموضوع، ولم تكن تحاول ان توقفه لأن العنف الذي ادى به الى العمى يجب ان يجد طريقه الى الخارج. كان الكلام المستمر والمتكرر عن الموضوع نفسه يشكل الطريقة الوحيدة لتفجير العقدة التي نشأت في نفسه. وكان اخراجه من قمقم عقدته هذه هاجساً يلاحق انجي لان العقدة التي يشعر بها تصبح، اذا لم تعالج بصورة جذرية، اشد خطورة وضررا من شظايا القنبلة التي لا تزال في رأسه. كان يتكلم دائماً عن ذلك اليوم وعن رفاقه الذين قتلوا، وانجي تستمع وتتألم وتشكر الله لأنه لا يستطيع ان يراها وهي على هذه الحالة. كان يستعمل عبارات دقيقة وقصيرة عندما يتكلم عن الدماء والألم والجندي الشاب الذي اختلط صراخه وهو ينازع بندائه لزوجته الشابة الحامل.

قطع رايك حبل تفكيرها حين قال:

ـ ارغب بفنجان ثان من القهوة. اما زلت معي؟

ـ كنت افكر.

سكبت القهوة وزادت الكريما عليها في فنجانها فقط. اما رايك فقد كان يحبها قوية كما تعودها في الجيش.

ـ بمن؟ بتوركال دوبياس؟ افهم ان تكون المرأة فضولية ولكن ليس الى هذا الحد. اذا كان يهمك ان تعرفي فهو اسكوتلندي، بدءاً من اسمه، وصحافي كان يدور باحثاً عن مواضيع ليكتب عنها عندما اصيب. وكان المستشفى العسكري هو الأقرب بين الذين يعالجون هذا النوع من الاصابات، فنقل اليه وهناك تعارفنا. مسكين هذا الرجل اصابته لا تحتمل نفسياً.

ـ هل هو متأهل؟

ـ انه ارمل. واعتقد انه بسبب وضعه العائلي غير المرتبط، تمكن من الوصول الى منطقة المعارك. لم يتكلم عن زوجته سوى مرة واحدة، واستطيع القول انه حتى تلك اللحظة لم يكن قد تقبل بعد فكرة موتها. اخذها معه في احدى رحلاته الصحفية، وكانت الأولى لهما معاً، فصدمتها دراجة نارية اثناء ذهابها لشراء بعض الحاجيات. بقيت في الغيبوبة لمدة شهرين، وقال لي بانهم فعلوا المستحيل لانقاذها دون جدوى. حين ماتت كان قد مضى على زواجهما ثلاثة اشهر.

فقالت انجي والحزن باد على قسماتها:

ـ انه رجل مسكين. لقد نال حصته من مشاكل الحياة.

ـ نعم. ان المصاعب التي يواجهها الانسان في الحياة تدفع به احياناً الى الجنون. لقد ناقشت هذا الموضوع مع والدي وانتهينا الى نقاش حاد، انه متدين حتى العظم.

ـ وانت الست كذلك، يا رايك؟

ـ من بعض النواحي، ربما. انت ممرضة يا انجيلا ولا بد انك

لاحظت ان الأمراض والمصائب تصيب الطيبين اكثر مما تصيب الاشرار. الم تسألي نفسك عن السبب؟

فأجابته بهدوء:

ـ بلى. ربما كان نوعاً من التجربة. خذ مثلاً عمتي. لطيفة وطيبة لكن حياتها كانت متعبة وقلقة فأجهدت نفسها. ثم، من يعرف؟ قد تكون الأنانية سلاحاً يخفيه الناس الطيبون. في كل حال، انا لا اود ان اكون انانية. وانت؟

امتدت يده الى قطعة حلوى على الطاولة، لكنه عوضاً عن اكلها فتتها بأصابعه وهو يقول:

ـ انا اجلس في الحديقة وافكر بأشياء كثيرة، ان فقدان البصر يخلق شاشة فكرية تتوالى عليها الصور والذكريات. واحدة تلو الاخرى. اتساءل ما الذي يدفع الناس الى سلوك طرق ملتوية تقود في كثير من الأحيان الى نهايات مأساوية؟ رغم ان التخطيط وبعد النظر هما صفتان تلازمان الانسان.

تنهد وراحت عيناه تحدقان في المجهول، في سواد قاتم، حيث تعرف انجي ان لا وجه ولا شكل معروفاً لها هناك. كانت صوتاً يستمع احياناً اليه ويداً يمسك بها في بعض الأوقات. كانت تشعر بضيق لأنها تحس بأن فقدانه لبصره قد اختزلها من ذاكرته فأصبحت صوتاً ويداً فقط.

ـ لو اخترت دخول ميدان العمل في مكتب المحاماة العائد لزوج عمتي، هل تعتقدين بأني كنت سأواجه الحائط نفسه، والسد نفسه، حيث لا اجد متنفساً او باباً استطيع فتحه لأدخل الى حديقة وأرى ازهارها الرائعة؟

ـ رايك، باستطاعتك تلمّس الورود وشم رائحتها. مد يدك.

فمد يده وامسك بالوردة الحمراء التي قدمها دون كارلوس الى انجي مع فطور الصباح. تلمس اوراقها الناعمة الرطبة ثم دفعها الى انفه واشتم رائحتها قائلاً:

ـ انها وردتك، اليس كذلك؟ كما قلت باستطاعتي ان المسها واشمها لكنها تبقى بالنسبة لي وردة سوداء اللون.

بقيت هذه الكلمات عالقة في ذهن انجي بينما كانت ترتدي ملابسها لتقوده الى المدينة، ليقابل الصحافي الذي تعرف عليه في المستشفى، والذي حرم مثله من التمتع بحياة طبيعية كسائر الناس.

ان ما يزيد الأمور تعقيداً هو ان عاهة توركال دائمة كعاهة رايك. رايك لا امل له باستعادة نظره وتوركال لا امل له باستعادة رجولته.

كانت هذه الأفكار تمر ببال انجي فيما كانت تستعد للخروج. وانتقت حقيبة وقفازين يتناسبان مع لون فستانها البيج ثم سرحت شعرها وراحت تتأمل نفسها في المرآة، فوجدت ان شكلها اصبح لائقاً للخروج. اقفلت باب غرفتها وتوجهت نحو غرفة رايك لترى ما اذا اصبح جاهزاً، فوجدت خادمه يرتب الغرفة. ابلغها بأن السيد نزل منذ لحظات وهو ينتظرها في الطبقة السفلى.

كان واقفاً في الصالون ينتظر، فراحت تتأمله من اعلى الى اسفل، يرتدي سروالاً ابيض اللون وقميصاً قاتماً وقبعة تخفي آثار الجروح في وجهه. ان من يراه لأول وهلة يصعب عليه التصديق بأن هذا الرجل اعمى.

ـ سيدي، انت بغاية الأناقة.

ـ وماذا ترتدين انت، يا ممرضتي العزيزة؟ اتمنى الا يكون ثوب التمريض؟

مد عصاه وراح يتقدم نحوها معتمداً على حاسة الشم، لأن الغرفة كانت تعبق برائحة عطرها، فوقفت في مكانها بانتظاره. راح يتلمس ثوبها لبعض الوقت ثم قال:

ـ يبدو ناعماً، ما هو لونه؟

ـ بيج.

كان تنفسها قد اصبح متقطعاً لشدة اقترابه منها.

ـ هل تضعين الوردة الحمراء في ياقتك؟

تحركت اصابع يده اليمنى وراحت تتحسس، فوجدت الوردة معلقة على الفستان بدبوس زينة على شكل نضوه مذهب. كان هذا الدبوس لعمتها المرحومة كيت، التي ثبت في النهاية انها كانت امها الحقيقية. وجدته بين الاغراض القليلة التي تركتها كيت عندما توفيت. كانت بين هذه الأغراض ايضاً، مستندات تميط اللثام على السر الكامن وراء ولادة انجي.

لامست اصابعه شعرها ثم تراجعت فيما كان يبتعد عنها بعد ان التقط سمعه الحساس، وقع اقدام. لم تكن حاسة السمع هي الوحيدة عنده التي اصبحت حادة، فلقد شاهدته عدة مرات يتوقف فجأة بينما يكون في طريقه الى مكان ما. كانت تعلم بأن هذا ما يسمونه «الرؤ ية بالوجه» هذا النوع من الرؤ ية هو ادراك حسي ممتاز يستطيع المكفوف بواسطته ان يشعر بالخطر، بواسطة ذبذبات معينة تتجه مباشرة نحو بشرة وجهه. كان هذا الموضوع يثيرها، لكنها لم تكن ناقشته بعد معه. لقد رغبت في اختيار الوقت الملائم لذلك، عندما يكون رايك في وضع نفسي مريح، يسمح له بالاقتناع بأن «الرؤ ية بالوجه» هي هبة الهية لا تمنح لكل المكفوفين.

دخلت مايا الغرفة فوجدتهما متأهبين للمغادرة فسألت:

ـ رايك، انت ترتدي ملابسك وتبدو في غاية الاناقة الى اين ستأخذك انجي؟

ـ اننا ذاهبان الى المدينة لاستقبال صديق لي. سيأتي ليمضي بضعة ايام معنا في الجزيرة. هل لديك شيء تفعلينه، مايا؟

وضعت يدها اليسرى في جيب بنطلون الجينز الذي كانت ترتديه، واستندت الى باب الغرفة قائلة:

ـ لا. ليس لدي ما افعله هنا. ان كل شيء اصبح مثيراً لضجر. ايامنا هذه تختلف عن الماضي، حين كنا نذهب للسباحة والتجذيف والاستكشاف. اشعر احياناً كأن ايام مرحنا قد ولت الى غير رجعة.

فانتهرها رايك قائلاً:

ـ لا تتفوهي بسخافات. انت صغيرة وتتمتعين بصحة جيدة، لكنك تزعجين الجميع بالطريقة التي تتصرفين بها. فأنت ما زلت غاضبة، وان بصمت، من النتيجة التي وصلت اليها بخصوص عازف الغيتار. اسمعي ما سأقول: لو كان هذا الرجل يحبك حباً عميقاً، لكان اصر على اخذك معه ولكنت قبلت رغماً عن ابي. اما اقتراحي لك الآن يا ابنتي فهو التالي اذهبي الى غرفتك فوراً وارتدي ملابس جميلة. سوف تذهبين معنا الى المدينة.

سألته بعد ان قبلت الدعوة:

ـ هل ستتناولون طعام الغداء في المدينة؟

لم يجب رايك فاغتنمت انجي الفرصة وقالت:

ـ اعتقد بأن هذا سوف يكون ممتعاً. هل سنفعل، يا رايك؟

امسك بعصاه وبدا كأنه سيضربها بها بسبب هذا الاقتراح والاصرار اللبق عليه.

ـ لا... لا اعتقد.

وهنا تدخلت مايا موجهة سؤالاً لشقيقها:

ـ والآن من هو المزعج والممل؟ يا عزيزي رايك، ان رفضك نابع من اعتقادك ان هناك من يهتم اذا اوقعت قطعة من البطاطا او حنجر القلفل اثناء تناولك الطعام؟ دعني اقول لك شيئاً مهماً: لا احد يهتم لهذا الموضوع بالشكل السلبي الذي تعتقده انت. ارجوك لنذهب الى الغداء في الكازا دي لاس بالماس حيث اعتدنا ان نتناول الطعام في السنوات الماضية! ارجوك قل نعم!

بدت الغرفة طوال لحظات شبيهة ببرميل بارود على اهبة الانفجار.

ـ حسناً. ان كان هذا يوقفك عن التفكير بذاك الشاب، مايا فسنذهب ونتناول الغداء في الكازا.

تنهدت انجي عندها تنهيدة ارتياح، فيما كانت مايا تغمر شقيقها

بذراعيها وهي تقول:

ـ شكراً يا عزيزي!

لمس رأس شقيقته بيديه ثم قال لها:

ـ ان هذا يذكرني بأعشاش العصافير. اذهبي وسرحي شعرك. ثم ارتدي شيئاً لائقاً يفرح قلب رجل مر في ظروف صعبة للغاية. هيا اسرعي! الملاك وانا سوف ننتظرك في السيارة.

فحدقت به مايا مستفهمة كما لو كان بامكانه ان يراها وسألته:

ـ لماذا تناديها دائماً هكذا؟

ـ لان الممرضات هن كذلك، ام اكون مخطئاً؟

ثم دفع بشقيقته بعيداً عنه واردف قائلاً بعد لحظات:

ـ وممرضتي بصورة خاصة، يجب ان تكون ملاكاً لتتمكن من احتمالي، ولتستطيع العناية بي.

فابتسمت مايا لانجي قائلة:

ـ هل هو مزعج وصعب المراس الى هذا الحد؟

ـ ان طباعه كانت غير معقولة، لكنه يتحسن باستمرار. في احدى الأمسيات سوف اخذه الى برج المراقبة عند الساعة الخامسة، لأصف له مغيب الشمس.

ـ ان السلم المؤدي الى البرج ضيق وحلزوني. هل تعتقدين بانه سيتحمل الصعود الى هناك؟

فقاطعها رايك آمراً:

ـ اذهبي وارتدي ملابسك. ان الرجال في مثل سني لا يزالون في اوج طاقتهم.

ـ هل هذا صحيح، انجي؟

سألتها مايا وهي تهرب ضاحكة من الصالون فيما كان رايك يتحسس ساعته ليعرف الوقت.

ـ اعتقد بأن ذلك الشاب قد جرح كبرياءها. ان ابي يفهم جيداً

اطباع الناس، واعتقد انه كان سيقبل برودي زوجاً لمايا بالرغم من موضوع الطلاق، لو تأكد له ان هذا الشاب صادق في حبه لها. ان مايا خجولة نوعاً ما، ونحن عائلة معروفة ومؤثرة، فلا نستطيع المخاطرة بأي شكل من الأشكال، واؤكد لك بأن ابي قد احسن التصرف. ربما، في المرة المقبلة، تكون مايا اكثر حظاً في الحب.

ابتسمت انجي ابتسامة ضعيفة وقالت:

- فلنأمل ذلك.

ثم تأبطت ذراع رايك وخرجت واياه الى سيارة المرسيدس التي كان يملكها دون كارلوس وما ان جلسا داخلها حتى قالت له:

- اعتقد بأنك تقليدي محافظ في مواقفك الشخصية تجاه النساء، اليس كذلك؟ والاحظ بانك في بعض الاحيان تثور علي لأن عليك ان تقبل مساعدتي.

قام من مقعده واطلق نفير السيارة مستحثاً مايا على الاسراع وقال:

- هذا طبيعي! هل تعلمين ما هو شعوري عندما يكون علي الاعتماد على امرأة لتهتم بشؤوني؟

- انا اعلم ان هذا ليس سهلاً، لكنك تتحسن. لقد لاحظت، بدون شك، انك تتمتع بحاسة سادسة هي حاسة «الرؤية بالوجه» وهذا شيء مهم جداً بالنسبة اليك.

- وهل من المفروض ان افرح واصبح في السماء السابعة لاني املك هذه الحساسية المفرطة في الوجه؟ انا اريد ان ارى الاشياء لا ان احسسها.

- اهذا ما تشعر به حقاً يا رايك؟

- شيء من هذا القبيل.

- لكن هذا يجب ان يسرك. انه شيء رائع ان تشعر بذبذبات تصدر عن الاشياء عندما تمر قربها.

- هناك اشياء معينة عندما اقترب منها اشعر باثارة. وهذه الاشياء

ليست الابواب المقفلة ولا جدران القرميد. انها اشياء ناعمة ودافئة ومتحركة. ولكن ليس علي ان اسرح بفكري نحو البعيد، اليس كذلك؟ فهذا ليس مفيداً لمريض.

- رايك، انا لا اتدخل في افكارك مهما تكن.

فزمجر قائلاً:

- لا تتدخلين! هناك اوقات اتمنى فيها ان تذهبي عني وتعالجي احداً غيري.

نظرت اليه انجي كمن لم يفهم شيئاً وسألته:

- ما الحكاية الآن؟ ما الذي حدث؟ لماذا تحاول ان تخلق شجاراً بيننا؟ ما الذي قلته او فعلته واغاظك؟

جلس صامتاً لدقيقة او دقيقتين ثم تنهد بقوة وقال لها:

- انها طريقتك في المعالجة. انت دوماً متفائلة ولا اعرف السبب. ما هذه الحياة التي احياها. هل هذه حياة رجل؟ انا العن اليوم الذي ولدت فيه الف مرة في النهار. وانت . . . انت تتكلمين عن حساسية مفرطة في وجهي تسمينها حاسة سادسة «والرؤية بالوجه» ولا ادري ماذا ايضاً، وتتكلمين بتفاؤل كأني استرجعت بصري! ما هذا الهراء، يا انجي، ما هذا الهراء؟ اسمعي، وليكن كلامي واضحاً وللمرة الأخيرة اذا كنت سأبقى طول عمري فاقداً بصري، فعلى الدنيا السلام! انا لا اريد سنوات زائدة من عمري احيا فيها نصف حياة!

فقاطعته صارخة وهي بحالة صدمة:

- رايك. . .

فتابع دون ان يأبه لها:

- سوف اقضي عليك بيدي هاتين لو قلت لي مرة واحدة بعد، ان بامكاني ان اشعر بدفء الشمس على بشرتي، ولو لم يكن بامكاني رؤيتها هناك في السماء الزرقاء. لان هذا الكلام يشابه كلام من يقول لي انه بامكاني ان اشعر بالقبلة دون ان اراها. نعم ولكني اريد ان

اری وجه المرأة وهي ترحب بقبلتي! انجيلا لا تواسيني بحق الله! هل كل ما قلته لك واضح؟

- واضح تماماً عندما تصرخ كما تعودت في الثكنة العسكرية. ويبدو واضحاً ايضاً انك تندب نفسك. وكل هذا لماذا؟ لأن مايا طلبت منك ان تتناول طعام الغداء اليوم في مطعم. ان الناس هناك سيكونون مشغولين بأنفسهم الى درجة تمنعهم من التفرج على احد وهو يأكل!

- يبدو ان كلماتي قد صدمت ممرضتي فانتفضت لأن الحقيقة جرحت مشاعرها، أليس كذلك؟

- ان هذه المشاعر هي مشاعري وانا ادرى من الجميع اذا كانت قد جرحت ام لا. لكن ما كنت اريد قوله هو اني لا احب الكلام الضعيف والجبان عن ان الحياة لا تساوي شيئاً. ان صديقك توركال لديه ما يشكو منه اكثر منك بكثير. انت على الاقل يمكنك ان تتزوج وتنجب اطفالاً.

- رائع، وتكون لي زوجة واطفال لا اراهم؟ وتابع ضاحكاً بسخرية، في يوم من الأيام سوف يجد الدكتور رومالدو الشجاعة الكافية ليقول لي ما اعرفه بنفسي حول وضعي الصحي. سوف يقول لي بأن الشظايا التي لا تزال موجودة في دماغي سوف تجعلني اصاب بالجنون. وتقولين بانه يمكنني ان اتزوج. اتزوج وخطر الموت والجنون يلاحقني؟ لا بد انك اصبت بمس في عقلك!

وضعت انجي يدها على شفتيه في محاولة لاسكاته وقالت:

- لا، رايك، ارجوك. انت تؤذي نفسك وتؤذيني عندما تتفوه بهذه الكلمات.

- انت تقصدين بأني اخيب ظنك بي، ايتها الطفلة! وهل ظننت بانك حولتني الى مريض منصاع لك ومتجاوب مع ما تريدينه؟

- لقد بدا لي انك تتجاوب، وتابعت وهي تمسح جبينه باصبعها، لا تنسحب رايك ما زلت قادراً على الصمود والمقاومة. انت تواجه

معركة في حياتك. ألا تريد ان تربحها؟

فأجابها بمزيج من الحزن والنقمة:

- ان العدو موجود داخل رأسي. وانا لا استطيع ان اقتل عدواً لا اراه.

- لا تكن قاسياً.

- اما كنت تشعرين بالمرارة لو كنت مكاني؟

- ربما.

- في هذا الموضوع ليس هناك ربما. ان الورود في الحديقة حيث امشي ما زالت سوداء اللون والنساء ما زلن بدون وجوه.

لم ير رايك الألم الذي كان ظاهراً بوضوح على وجهها:

- رايك، هل تحاول دفعي الى البكاء؟

فهز رأسه مجيباً:

- لا، انما احاول افهامك مرة اخيرة.

- انا افهمك، صدقني.

- اذن قولي لي ما الذي يجب ان افعله في حياتي، هذا لو افترضنا انها لا تزال طويلة امامي؟

- لقد قلت لك، باستطاعتك ان تتدرب على المحاماة، لان لديك ذهناً حاداً وسرعة بديهة.

- حتى متى؟ يمكن لهذه الشظايا الملعونة ان تتحرك الآن فتصيبني بالجنون، فيما نحن جالسان هنا.

- حتى ولو كان هذا الأمر صحيحاً، انت لا تستطيع ان تقضي ايامك جالساً في الحديقة ومنتظراً حدوثه. لقد كنت جندياً وتعلمت الاقدام. كنت تعلم دائماً انه من المحتمل ان تصاب برصاصة او بقنبلة تنفجر في وجهك.

- ان الكلام سهل جداً يا انجي، لكن القلق يدمر اعصابي رويداً رويداً. في الليل احلم، وانت تعلمين ما هو حلمي الوحيد في هذه الليالي. وعندما استلقي على سريري صاحياً، اجد نفسي لا شعورياً

احاول ان افتح عيني قدر الامكان وان ادع نور الشمس يتسرب اليها دون جدوى. انت لا تعرفين بأني اعيش في فراغ ووحدة ومحاطاً بغمامة سوداء كثيفة لا تزول. انا. . . انا لم اعرف معنى الخوف الى ان حلت علي هذه اللعنة!

لم تتحمل ما كان يقوله فوجدت نفسها تقول له وهي تعانقه:

ـ يا عزيزي. . .

فدفعها بعيداً:

ـ لا تفعلي هذا . . . لا تشفقي علي!

ـ انا لا اشفق عليك انما اريد ان اشاركك احزانك.

ـ انت لا تعلمين ماذا تقولين. انت لا تستطيعين مشاركتي في سمائي السوداء، تماماً كما انا لا استطيع مشاركتك في سمائك الزرقاء. لا تتصرفي بطريقة عاطفية ايتها الممرضة!

ثم غرق في مقعده واشاح بوجهه عنها. فراحت تحدق به وتتأمل عضلات فكه وهي تتراقص من الغضب، فأحست بألم في اعماقها وساد الصمت. وصلت مايا ودخلت الى السيارة، جالسة في المقعد الخلفي. كانت قد سرحت شعرها وغيرت رداءها ووضعت احمر شفاه مناسب.

بادرها رايك بالقول:

ـ هل رتبت هندامك جيداً؟

ـ وهل صديقك جذاب وساحر الى هذا الحد؟

احست انجي باضطراب مفاجىء بسبب هذا السؤال. ان ما قاله لها رايك عن توركال كان سرياً ولم يكن من الممكن ابلاغه لمايا. ان هذه الاخيرة قد عاشت حياة هادئة هانئة وآمنة اكثر من انجي، وهي بالتالي لم تتعود على المشاكل وما زالت طرية العود. ان اخبارها بقصة توركال سوف يصدمها بشكل لن يسمح لها بالتصرف معه بصورة طبيعية، عندما يصل الى بايلتار لقضاء عطلته.

قادت انجي سيارة المرسيدس بهدوء وانعطفت نحو الطريق

المحاذي لشاطىء البحر والذي يقود الى وسط الجزيرة. كان البحر هادئاً كالزيت يلتمع كاللؤلؤ. تجاهل رايك السؤال الذي طرحته مايا حول توركال وسألها بدوره:

ـ كيف يبدو البحر اليوم؟

ـ يبدو كما رسمه رسامك المفضل على الكانفا. اما زلت تعتبر ترنر افضل رسام للطبيعة؟

ـ عندما اقتنع بشيء، لا اغير رأيي بسهولة.

ـ يا الهي كم انت متغطرس يا رايك!

ثم انحنت وضربته بتحبب على عنقه وسألته:

ـ هل اطباع صديقك مثل اطباعك؟

ـ لا. ان اصابتنا البليغة هي الشيء الوحيد المشترك بيننا على ما اعتقد.

ـ انا افضل جراحك على طباعك، وتابعت وهي تحيطه بذراعيها بغنج، انت تبدو قوياً وقاسياً، يا اخي الكبير. اتذكر، انت الوحيد الذي كان يهتم بنا دائماً في الأيام الخوالي. كم كانت جميلة تلك الأيام، وكم كنا نضحك ونلعب غير عابئين بشيء. اتذكر؟

ـ نعم عندما عدت من المستشفى كنت اشعر بفراغ في رأسي، ولم اكن اتذكر كل التفاصيل. اما الآن، فان الوضع تحسن عن ذي قبل واستطيع ان اتذكر الأشياء بوضوح اكثر. لا يبدو اني اتذكر اذا كانت انجي جميلة ام عادية.

ضحكت انجي وسألته:

ـ وهل هذا يهم؟

كانت تقود السيارة على الطريق العريض الذي يمر بمحاذاة المدفن الذي دفنت فيه روزادي زالدو. فأحست انجي بانقباض لم يختف الا بعد ان تجاوزت السيارة المكان في حين لم تنتبه مايا للأمر لانها كانت تطرح على شقيقها سؤالاً:

ـ كيف تتصور شكل انجي الخارجي؟

- ذكرياتي عنها لا تزال عالقة بعنبر الأيام الغابرة. كل ما اذكره انها كانت خجولة وكانت جدائلها تصل الى خصرها.

- ما رأيك بهذا الوصف يا انجي؟

- علينا جميعاً ان نقبل بالحياة كما فرضت علينا.

اوقفت السيارة على رصيف الميناء وخرج منها الجميع. فقال لها رايك:

- انا اتذكرك عندما كنت طفلة، اما الآن فانا بالكاد اعرفك.

فسمعتهما مايا يتهامسان فتدخلت قائلة:

- ما هو الداعي لهذه الثرثرة على انفراد؟

- كنت أسأل انجي عما اذا كانت ملابسي تبدو مرتبة. ان هذه هي احدى سيئات فقدان البصر.

فقالت له مايا:

- ارجوك يا رايك لا تتكلم بهذا الشكل، فانا لا استطيع الاحتمال.

- كفكفي دموعك يا صغيرتي ولتخبرك انجي عن حاستي السادسة «الرؤية بالوجه» فهذا سيخفف الوطأة عليك.

فوقفت مندهشة وسألته:

- احقاً رايك؟

- من المحتمل ان يكون الأمر كذلك. اعتقد انها طريقة الطبيعة في التعويض على فقداني البصر. فلنذهب للقاء توركال.

٦ - لا اريد سواك

جزيرة بايلتار جزيرة تاريخية ذات معالم اثرية جميلة انطلاقاً من المرفأ الصغير ووصولاً الى مئذنة الجامع الكبير في وسط المدينة.

بسبب موقع الجزيرة في البحر الأبيض المتوسط، تعرضت لغزوات وحروب تركت بصمات ومعالم تاريخية على عماراتها واسواقها الاثرية ومعالمها الدينية.

لم يكن مشهد النساء المحجبات والسائرات في الشوارع ليدهش انجي لانها سبق وكانت هنا منذ سنوات.

سار الثلاثة قليلاً حتى وصلوا الى المرفأ القديم الذي يعتبر المتنفس الوحيد لهذه الجزيرة. ووقفوا على الشاطىء يراقبون اليخت الحامل اليهم توركال على متنه. وفيما كان هذا اليخت يقترب من الشاطىء

التفتت مايا نحو شقيقها سائلة:

ـ هل يمكنك ان تصف صديقك لي؟

ـ وكيف تريدينني ان افعل؟ لقد التقينا في المستشفى، وتابع ضاحكاً، ووجدت وقتها انه ليس من اللائق ان اسأل الممرضات عما اذا كان وسيماً.

فجأة قاطعتهما انجي قائلة:

ـ لقد وصل اليخت الآن.

ابتدأ الركاب بالخروج واحداً تلو الآخر. وبعد دقائق لاحظت انجي ان شخصاً يحمل حقيبته ويقف متردداً فقالت لرايك:

ـ اعتقد انه يقف بالقرب منا ولكنه يتردد في الاقتراب. ربما لم يكن يتوقع ان نرافقك الى هنا.

ـ توركال يعلم بأني كفيف اذهبي انت اليه.

لكن هذا لم يكن ضرورياً لأن توركال سمعه على ما يبدو فاقترب بنفسه. كان طويل القامة يرتدي جاكيتاً بيج وبنطلوناً بنياً. كان يشبه رايك كثيراً باستثناء لون عينيه الأزرق مما دفع بالفتاتين الى حبس انفاسهما. مد رايك يده مصافحاً بعد ان سمع وقع اقدام:

ـ توركال؟ كيف حالك يا صديقي؟

ـ انا بخير. وانت تبدو افضل حالاً يا رايك. ولولا العصا التي تحملها لأعتقدت بأنك شفيت تماماً.

ـ كنت اتمنى ان يكون الأمر كذلك. والآن اسمح لي ان اقدم لك شقيقتي مايا التي سمعتني مراراً اتحدث عنها وهي السمراء الى يميني وممرضتي الشقراء الآنسة انجيلا هارت.

فرد قائلاً وهو يجول بنظره بينهما مبتسماً:

ـ انا سعيد بمعرفتكما. انت محظوظ يا صديقي وانا احسدك على هذه الرفقة الناعمة.

لاحظت انجي حزناً عميقاً في عينيه وما ان ادارت وجهها حتى شاهدت مايا تحدق به باعجاب ظاهر فانزعجت لعلمها بأن مايا

ستشعر بصدمة اذا عرفت الحقيقة المرة.

فجأة سألته مايا:

ـ لقد اخبرنا رايك بانه التقاك في المستشفى. هل كانت اصابتك بالغة، توركال؟

ـ بالغة جداً.

ـ وهل شفيت تماماً؟

ـ نعم. لقد حجزت غرفة في الكاستيللو دي مادريفال. هل هو فندق جيد؟

ـ انه ممتاز فعلاً، وتابع رايك قائلاً، ما رأيك لو ذهبنا الآن لتناول طعام الغداء في الكازا دي لاس بالماس. انا متأكد بأن المكان سيعجبك. انه اختيار مايا.

ـ اود لو تسمح لي بدعوتكم الى الغداء.

ـ لا ارجوك. عندما يزور صديق لي بايلتار للمرة الأولى فأنا افضل ان يكون ضيفي. هيا بنا نهرب من هذه الشمس الحارقة. انجيلا، هاتي يدك.

كانت انجيلا لا تزال خائفة من ان تعجب مايا بتوركال. لأن هذا الأمر سيكون مصيبة جديدة تحل عليهم. وكان خوفها يزداد كلما شاهدت مايا تتقرب من توركال وتمازحه. تأبطت ذراع رايك وقالت:

ـ باستطاعتنا ان نترك السيارة في الموقف ونسير على الأقدام فالمطعم ليس بعيداً عن هنا.

فعلق رايك قائلاً:

ـ سوف يكون المطعم حاشداً في مثل هذه الساعة من النهار. وكذلك الطريق المؤدي اليه.

ـ لا بأس فعليك ان تعتاد السير بين الناس. كف عن هذه الهلوسة.

ـ وانت كفي عن المزاح، ارجوك، فلا الوقت ولا المكان

مناسبان وبحق الله، لا تدعيني اصطدم بأحد اثناء السير. كان يجب ان نحمل جرساً معنا، فيسمعنا الناس ويبتعدون عن طريقنا.

ـ كفى، لا تكن مضحكاً، ولا تتمادى في هذا الكلام.

وراحت تنظر اليه بعطف ومحبة تتناقض مع ما قالته له لتوها، وراحت تقوده وسط جموع الناس المهرولة في الشارع.

شعرت انجي بتوتر اعصاب رايك عندما قال لها:

ـ لم الاحظ في حياتي ان الناس يسيرون بهذه السرعة،ان وقع خطواتهم على الأرض يربكني.

ـ انه وقت الغداء لكثيرين منهم، وتابعت ضاحكة، اتمنى الا ننتظر دورنا للحصول على طاولة.

وصلوا الى الساحة ذات الهندسة الرائعة والديكورات الخلابة والتي تتوسطها ثلاث برك ماء رخامية تحيط بها اشجار البلح. فقال توركال لرايك:

ـ ان هذه الساحة جميلة جداً. لم اكن اعتقد ان جزيرتكم ستكون بهذه الروعة وهذا الجمال.

ـ انها لا تتبدل ولا تتغير، وتابع مبتسماً بمرارة، كحالتي تماماً. ان ابي يقوم باقصى جهد ممكن، ليحافظ على طابع الجزيرة التقليدي ولتبقى قبلة للسواح.

ـ اني اتشوق لمقابلة دون كارلوس.

ثم تقدموا جميعاً باتجاه المطعم الذي كان يقع آخر الساحة. كان بهوه الخارجي يعج بالناس. ففضلوا الولوج الى الداخل حيث الجو اهدأ واكثر برودة. ولحسن حظهم وجدوا طاولة شاغرة فجلسوا اليها. فيما كانت مايا تتجاذب اطراف الحديث مع توركال كانت انجي تستعيد ذكريات الماضي عندما كانت تأتي الى المطعم نفسه لتأكل السمك مشوياً على الفحم مع قطعاً من الخبز المحمص وبعض الزبدة.

طلب رايك من احد خدم المطعم ان يأتيهم بمشروب فيما كان

توركال يقول لمايا بعد ان لاحظ انها تنظر اليه بعينين حزينتين من وقت لآخر:

ـ انت لا تزالين يافعة. فلماذا كل هذا الحزن؟ ما زالت الحياة طويلة امامك بكل مباهجها.

فأجابته مايا وهي تفكر بالمغني الشاب رودي، الذي رفض والدها استمرار علاقتها معه:

ـ ان كل ما تعرفه عني هو اني شابة ولذا تقول هذا الكلام. لكن الا تعتقد بأن المظاهر تخفي في بعض الأحيان وراءها كثيراً من المرارة؟

فتدخلت انجي مقاطعة بعد ان رأت ان توركال ينظر الى مايا باستغراب ودهشة. لا ريب انه يعتقد في قرارة نفسه بأن الكلام الذي قالته مايا لتوها كان يجب ان يقوله هو. غيرت انجي الحديث فوراً لكي لا تتسبب بالاحراج لأحد:

ـ الا تعتقد يا توركال بأن اللغة الاسبانية جذابة؟ انا شخصياً اجد الفاظها اسلس بكثير من باقي اللغات. لقد تعلمتها عندما كنت آتي الى هنا بصفتي تلميذة مدرسة.

ـ معك حق! ان لهذه اللغة رنة موسيقية ناعمة، وهذا ما يجعلها سلسة.

ثم استطرد قائلاً:

ـ آه، الآن فهمت سبب اجادتك اللغة الاسبانية بطلاقة! رغم ان مظهرك الخارجي يوحي بأنك انكليزية.

عاد الخادم حاملاً كؤوس الشراب فوزعها عليهم. وبعد صمت قصير، عادت انجي لتسأل:

ـ اين تقيم في هذه الأيام يا سيد توركال؟

ـ انا املك شقة في مدريد. واهلي يسكنون منزلاً كبيراً في الأندلس.

ـ سمعت ان الأندلس جميلة جداً ومحافظة على تقاليدها.

ـ هذا صحيح. انها تشبه بايلتار كثيراً. فشمسها حادة وينابيعها كثيرة ونساؤها محجبات، ما رأيك بالنساء المحجبات يا رايك؟

- في هذه الأيام كل النساء محجبات بالنسبة لي يا صديقي.
- عفواً، لم اقصد. . .
- لا عليك، انا احب ان ينسى الناس في بعض الأحيان اني كفيف، لا عليك.

وتدخلت مايا وهي تحدق بتوركال باعجاب ظاهر:
- هل ستعود الى المستشفى يا سيد توركال؟

فأجابها وفي صوته بعض التهكم:
- لا، لقد فعلوا كل ما يمكنهم من اجلي.
- هل تحسنت حالتك؟ انت تبدو بصحة جيدة.
- نعم، شكراً.

وعاد الخادم مرة ثانية حاملاً معه بعض المرطبات، فأحس توركال بأنه انقذ من ورطة لو تشعب الحديث اكثر، فتنفس الصعداء وقال:
- لقد اتى في وقته، اشعر بعطش شديد.

بعد دقائق بدأ الخدم يتوافدون حاملين اطباق الطعام الشهي، فراح الرجلان يتجاذبان اطراف الحديث ويتكلمان عن تجاربهما، وراحت مايا تصغي باهتمام لما يقولانه. احست انجي بأن المشكلة ستبدأ قريباً اذا وقعت مايا في حب توركال. خلال هذا الوقت كان رايك يمازح الجميع ويضحك على غير عادته، فسألته مايا:
- انا لم ارك تتصرف هكذا منذ زمن طويل. هل يعود الفضل في ذلك لانجي ام للنزهة؟

فاستدار رايك نحو انجي سائلاً:
- ما رأيك ايتها الممرضة؟ هل تعتقدين ان الفضل يعود لك؟

فتدخل توركال وهو يبتسم ابتسامته الحزينة قائلاً:
- اعتقد بأن الفضل يعود لانجي. ان الممرضة التي اعتنت بي لا تشبه انجي اطلاقاً. لقد كانت تشبه التنين، وتابع ضاحكاً، لذلك اعتقد بأني استطيع ان ابدي رأياً في الموضوع.

ثم وجه سؤاله لرايك:

- كيف تقضي امسياتك في المنزل؟
- استمع الى بعض القصص الرومنطيقية. ان انجيلا تحبها وتقضي ساعات في قراءتها لي.

فسألها توركال:
- هل انت رومنطيقية، آنسة انجي؟
- نوعاً ما. انا احب الافلام والقصص الرومنطيقية لأنها تنسيني متاعب مهنتي. اعتقد انكم، معشر الصحافيين، تفضلون النظرة الواقعية الى الحياة، اليس كذلك؟
- هل تعتقدين؟ اثناء وجودي في المستشفى، فكرت مراراً ان اترك مهنتي واعود الى الاندلس للعمل في الارض مع ابي. انه يرحب بذلك وانا حتى اليوم لم اصل الى قرار حول هذا الموضوع وقد. . .

فقاطعه رايك بالقول:
- اعتقد انها فكرة جيدة. انا اتمنى لو كان مجال الاختيار مفتوحاً امامي هكذا.
- على فكرة، انا لم اسألك بعد. ماذا قررت ان تفعل في المستقبل؟
- لا اعتقد ان المجال مفتوح امامي بشكل واسع.

فقالت له مايا:
- باستطاعتك ان تدرس المحاماة كما اقترحت انجي.
- احقاً، وكيف تريدينني ان اقرأ الكتب ما دمت كفيفاً.
- اعتقد بأن بعضها مسجل على اشرطة صوتية. بامكاننا ان نبحث عنها.

فأجابها بنبرة عالية:
- انا لست مهتماً بالموضوع الى هذه الدرجة. اذا كان الأمر يهمك فلماذا لا تبحثين عن هذه الاشرطة بنفسك. ثم اردف قائلاً، اتمنى ان تكونوا قد استمتعتم بالغداء جميعاً. انجيلا، استدعي الخادم ارجوك، لاسدد الفاتورة.

ما ان وصل الخادم حاملاً فاتورة الحساب حتى قال توركال

لرايك:
- اسمح لي ان اسددها بنفسي. فوجودي معكم هنا جعلني انسى مشاكلي.
لم يجد رايك سبباً للممانعة فقال له:
- حسناً، اذا كان هذا يرضيك.
بعد ان سدد توركال فاتورة المطعم سألته مايا:
- كم ستبقى في الجزيرة؟
فأجابها:
- انا لم احدد ذلك بعد بصورة نهائية.
- انا اعرف الجزيرة كراحة يدي. انها رائعة ويجب ان اريك اياها. اتحب السباحة؟
- لا، لا احبها.
- انها رياضة ممتازة. لا ريب في انك تعلمتها عندما كنت يافعاً.
فتدخل رايك وانب مايا بنبرة غاضبة:
- كفي عن ازعاجه! لقد اتى الى الجزيرة ليرتاح، فدعيه يختار ما يشاء القيام به!
فدمعت عيناها فوراً وقالت وهي تهم بالوقوف والتوجه الى حمام السيدات:
- انا.. انا متأسفة ان كنت ازعجتك، سيد توركال! اعذراني الآن!
ما ان دخلت مايا الى الحمام حتى لحقت بها انجي، فبادرتها الأولى بالقول:
- ما الذي دفع رايك الى التفوه بهذا الكلام؟ هل كنت مزعجة الى هذا الحد؟
- ليس بالنسبة الي. لكني اعتقد بأن لرايك اسبابه، فهو يعرف توركال اكثر منا.
وساد صمت قصير، بعدها قطعته مايا بالقول:

- الا تجدينه جذاباً؟
- بلى. انه جذاب لكنه غامض ايضاً، فخذي حذرك منه.
- ماذا تقصدين؟ اتعتقدينه حاد الطباع مثل رايك؟
- ربما.. لقد أصيب الاثنان بجراح بالغة لا يمكن تعويضها.
- لماذا تتكلمين بطريقة غامضة؟ جراح واصابات لا يمكن تعويضها؟ ما الذي اخبرك اياه رايك عن توركال؟ هل اصيب اصابة بالغة؟
- اعتقد ذلك.
- اظن بأنك على علم بكل التفاصيل. فلماذا لا تطلعيني عليها؟ هل تحبين توركال؟
فحبست انجي انفاسها وقالت لمايا:
- بحق السماء، مايا، كفي عن هذه التصرفات. في اليوم الأول تقعين في حب عازف غيتار، وفي اليوم الثاني تبدلين رأيك. ان الحب هو اكثر من مجرد شعور بجاذب فوري ومغناطيسي الى شخص ما.
نظرت مايا اليها بعينين مليئتين بالغيرة:
- هل تتكلمين عن خبرة، هل انت واقعة في الحب؟
- كفي، لقد سئمت من هذا الحوار السخيف. اني خارجة.
فامسكت مايا بيدها وجذبتها نحوها وهي تقول:
- اتدرين، لقد اصبحت كتومة هذه الأيام! لماذا يجب ان تخفي عني كل هذه الأمور؟
- هذا لأنك تتصرفين كالأطفال. ان توركال خارج لتوه من مأساة. فلا تتسرعي.
- مأساة؟ هل هو مطلق؟
- لقد توفيت زوجته بحادث بعد اشهر من زواجهما.
- يا الهي! لهذا اذن بدا وكأنه يدفع بالناس بعيداً عنه رغم ارادته. كم اود مساعدته.
- انا افضل الا تعرضي نفسك للأذى مرة ثانية. ان جروح

توركال ما زالت ساخنة ومؤلمة.

ـ ان في توركال شيئاً يحرك المشاعر في اعماقي. ما ان ينظر الي حتى اشعر بقشعريرة. هل تفهمين ما اعني؟

ـ بالطبع، لكن لا تدعي هذا الشعور يسيطر عليك.

ـ انت تعتبرينني متقلبة وقليلة الثبات، اليس كذلك؟

ـ لا، لكني اعتقد بأن لك خيالاً ومنطقياً يدفعك الى تصور توركال كبطل وسيم في حين انه انسان مثخن بجراح عاطفية وجسدية. لذلك انا انصحك بأن...

فقاطعتها مايا وهي في قمة غضبها:

ـ انا لا اريد نصائحك! انت تحبين توركال وتحاولين اخافتي بهذه الاخبار. لقد رأيتك وانت تراقبينه على المائدة. من قال ان بعد كل هذه السنوات سوف نتشاجر من اجل رجل؟ انا لا اريد ان نتشاجر يا انجي، ولذا عندما يكون الأمر متعلقاً بتوركال لا تتدخلي في الموضوع!

ـ حسناً، كما تشائين! لكن اود الا اراك تهرعين باكية الينا انا ورايك في نهاية الأمر!

ـ ماذا تقصدين؟ ماذا هناك؟ بالله عليك، اخبريني!

ـ هذا الأمر ليس من اختصاصي كما قلت منذ لحظات.

ـ ان رايك على اطلاع بالأمر، اليس كذلك؟ سوف اسأله.

فانفجرت انجي عندها غاضبة وقالت:

ـ لا، لن تفعلي. وكفي عن التصرف كطفلة مدللة. انت تودين الحصول على كل ما يعجبك، تماماً كالطفل الذي يدخل الى محل حلوى. دعي رايك وتوركال وشأنهما وتصرفي كامرأة ناضجة!

حدقت مايا بانجي بذهول وقالت:

ـ الآن فهمت ما الأمر! انت مهتمة برايك! انه رايك، وتابعت كمن اكتشف شيئاً مهماً، انت مجنونة بحبه!

استجمعت انجي انفاسها وقالت مدافعة عن نفسها:

ـ انه مريض وأنا ممرضته. لقد احرز بعض التقدم في المدة الأخيرة ولا اريد له ان يصاب بانتكاسة من جراء تصرفاتك.

ـ ان كل تصرفاتك يا انجي تؤكد وجهة نظري. انت مولعة برايك. يا الهي، كيف لم الاحظ هذا منذ البداية. لا ادري ماذا اقول لك يا انجي. هل هو على علم بالأمر؟

ـ لا، ولا يجب ان يعلم. عديني بذلك يا مايا.

ـ ولكن لماذا؟

ـ لانني لا اناسبه. تماماً كما لا يناسبك توركال.

ـ تبدين متأكدة من هذا الأمر. اما زال يحب زوجته المتوفاة؟

ـ اعتقد هذا.

لقد بدا لانجي ان هذه الطريقة هي الوحيدة المتوفرة لتجنيب مايا صدمة في المستقبل القريب.

ـ انجي، لقد قلت بأنك لا تناسبين رايك، لماذا؟

ـ لان والدك يريده ان يتزوج من فتاة اسبانية. ومن ناحية اخرى، ان رايك لا يحبني. لذلك، ما ان يشفى حتى اغادر الجزيرة واعود الى عملي في مستشفيات لندن. والآن، هيا بنا لملاقاتهما قبل ان يرسلا احداً خلفنا.

وما ان وصلتا حتى بادرت مايا الى دعوة توركال للتنزه قرب الساحة لتريه الجامع والسوق القديمين واستطردت قائلة:

ـ ستشعر كما لو كنت في المغرب.

ـ اذن كيف يمكنني ان ارفض؟ هل تسمح، يا رايك، بأن ترافقني مايا في هذه النزهة؟

ـ بالتأكيد.

ـ شكراً لك.

وفيما كانا يبتعدان عنهما، بادر رايك انجي بقوله:

ـ لا يجب ان تتعلق مايا بتوركال. آمل ان يتفهم ذلك.

ـ انا متأكدة من انه يتفهم ذلك. ولكن هل تعتقد ان الأمر ينطوي

على خطورة، اذا وقعا في الحب؟
- ليس ان الأمر ينطوي على خطورة. لكن ما من رجل له الحق بأن يحب امرأة ان لم يكن قادراً على منحها حباً كاملاً. ولا تظني اني بذلك احكم على توركال وحده بل على نفسي ايضاً.
احست انجي فجأة برغبتها في الاعلان عن حبها له. لكن كانت حائرة ولا تدري ماذا ستكون ردة فعله حول هذا الموضوع. هل سينعتها بالمجنونة ويبعدها عنه، ام سيطلب من والده انهاء مهامها لانها اصبحت مصدر ازعاج؟ ام انه سيتجاوب معها؟
لم يكن الاستنتاج سهلاً مع رايك لانه كان متوتر الاعصاب على الدوام لاعتقاده بانه سيموت قريباً، كان هذا الأمر، في الواقع، احتمالاً يجب مواجهته.
- رايك، ماذا تفعل هنا بحق السماء؟
كان هذا الصوت صادراً عن شخص طويل القامة، بهي الطلعة، ويرتدي بذلة بيضاء اللون. وضع يده على كتف رايك واستطرد قائلاً:
- يا اخي، ما كنت اتوقع ان اراك هنا. هذا رائع، فعلاً رائع. لماذا لم يكتب لي احد ليخبرني بانك استعدت نظرك!
- سيب؟ اهذا أنت؟
وقف سيباستيان دي زالدو يتأمل شقيقه، وشيئاً فشيئاً ابتدأ الفرح يختفي من عينيه. نظر الى انجي فهزت براسها. فأخذ نفساً عميقاً واحاط شقيقه بذراعيه قائلاً:
- بحق السماء! انت تبدو بخير رايك!
- كيف وصلت الى هنا يا سيب؟ هل كنت على متن اليخت؟
كان سيب لا يزال يحدق بشقيقه مذهولاً واجاب:
- لا، لقد اتيت على متن طوافة الشركة. ولقد انتهيت لتوي من تناول الغداء مع الطيار الذي اقلع عائداً الى مدريد. رايك، انت تبدو بحالة جيدة. وانا لا اصدق انك لا . . .

- انني كفيف؟ وتابع ساخراً كعادته، عليك ان تتعود على هذه الكلمة، يا اخي، لانك ستستعملها على الدوام.
ربت سيب على كتف رايك:
- انا . . . انا لا اعرف ماذا اقول!
- اذن لا تقل شيئاً يا سيب، فقط ارضخ للأمر الواقع.
- هل عرضت نفسك على افضل الاطباء؟
- نعم. هل تعتقد بأن ابي سيقبل الا افعل؟ والآن، اخبرني هل تبدو ممرضتي جميلة؟
ابتسم سيب فيما كان يتفحص انجي واجاب شقيقه وعيناه تحدقان بها:
- جميلة ليست الكلمة المناسبة. انها رائعة. هذا ما اعتقدته عندما رأيتها في لندن. وانا الآن مقتنع تماماً بهذا الأمر.
فقال رايك بهدوء:
- انا مسرور لذلك. فأنت واياها لا بد انكما تشكلان ثنائياً رائعاً. وانا شديد الأسف اذ ليس بمقدوري ان اراكما جنباً الى جنب.
عندها احست انجي بانقباض في داخلها، واحست بانها تكاد تغيب عن وعيها. كانت تصرخ في اعماقها: رايك، رايك، انا لا اريد سواك. فإما انت والى الابد واما لا احد.

٧ - مفاجأة قرب النخلة

جلست انجي تشرب الشاي الممزوج بعصير الليمون، امام الفيللا في فسحة تظللها اشجار النخيل. راحت تتأمل بين الفينة والأخرى هذا المنزل الكبير وتسترجع تاريخ عائلة دي زالدو، هذا التاريخ الذي اطلعها عليه دون كارلوس عندما كانت يافعة.

اطلق مؤسس العائلة، كارلوس دي زالدو الأول، اسم «منزل الشمس» على هذه الفيللا، بعد عودته من رحلاته الناجحة كقبطان لاحدى سفن البحرية الحربية التابعة للملك فيليب اوف سباين.

وكان قد احضر معه، من احدى غزواته عبر البحار، فتاة رائعة الجمال من البيرو (بلاد واقعة على الشاطىء الغربي لاميركا الجنوبية) ثم تزوج منها.

يتحدر آل دي زالدو الحاليون من هذه السلالة. ويشكلون مزيجاً رائعاً من العرقين الاسباني والبيروفي...

ثم انتقلت انجي الى التفكير بمشكلة العائلة الحالية الا وهي مشكلة رايك. لقد تذكرت ان سيب، بعد عودته واطلاعه على الوضع عن كثب، اقترح على رايك ان يعود الى ممارسة بعض انواع الرياضة كالفروسية وصيد السمك، والرماية بالقوس. وتذكرت ايضاً ان رايك انتفض عند هذا الاقتراح وقال لسيب:

- لا ريب انك اصبت بمس في عقلك. كيف تريدني ان اسيطر على الحصان؟ والى اين اوجه سهامي؟

فاجابه سيب عندها:

- سوف تتعلم. عليك ان تبدأ بالتمارين،من سيهتم في بادىء الأمر اذا اصبت الهدف ام لا؟ ان مجرد فكرة المشاركة في التمارين يجب ان يثيرك.

- حسناً، كما تشاء. في كل حال، افضل ان اموت تحت حوافر الحصان على ان اموت في فراشي.

فصرخ فيه سيب:

- بودي ان اصفعك على هذا الكلام. يجب ان تضع في رأسك العنيد هذا ان شظايا قنبلة ارهابيين لن تميتك. اقتنع بهذا ودع الجميع يعيشون بسلام.

- اقتنع بهذا الأمر عني، انت وانجيلا.

اعرب رايك مراراً عن رغبته في رؤية سيب وانجيلا سوياً. كان يطلب باستمرار من شقيقه ان يرافق انجيلا في نزهة على الشاطىء وان يذهب واياها الى المدينة لقضاء امسية هناك.

ويبدو ان سيب لم يزعجه هذا الأمر. لقد بدا واضحاً انه يحب رفقتها. واوضح لها ذلك مراراً ولم يخفه، ورغم انه كان رائعاً وجذاباً الا ان انجي لم تكن تحبه. كانت في وضع لا يسمح لها بالتعبير عن حقيقة مشاعرها، اذ ابقت سرها مخفياً عن الجميع باستثناء مايا التي

حافظت عليه لسببين. صداقتها لانجي، وانشغالها بتوركال.

تنهدت انجي وتمنت لو ان هناك من يمكنه انقاذها من هذا الحب الذي يعذبها منذ سنوات والذي زاد قربها من رايك في تأججه.

وفيما هي غارقة في احلامها، واذا بصوت يخاطبها:

ـ ان من يكون صامتاً وساهياً هكذا، يكون غارقاً في احلامه.

استدارت فرأت سيب يتأملها مستنداً الى جذع النخلة الفرعاء. كان يرتدي سروالاً ابيض اللون وقميصاً كحلياً ويدخن سيغاراً من النوع الفاخر.

بادرها بالقول:

ـ ان جمالك يبهرني رغم اني عملت في السنوات الأخيرة مع الكثير من الفتيات الجميلات.

استمعت الى اطرائه ببرود ظاهر وسألته:

ـ هل انت مسرور بعملك السينمائي؟

ـ ليس دائماً. فقط عندما اقوم بعمل ناجح وأكون مقتنعاً به. تماماً كما تشعرين انت اثناء عنايتك بشقيقي.

ـ انا لم اساعده بالمعنى الحقيقي للكلمة. جل ما في الأمر اني دربته ليساعد نفسه. وهو سريع الاستيعاب بشكل ملحوظ ولذلك يحرز تقدماً هائلاً في وقت قصير نسبياً.

ـ انه ما يزال حاد الطباع. لقد لاحظت هذا بنفسي عندما رافقته في تمارين الفروسية. ولا ادري ما اذا كان سيقبل بوضعه بصورة نهائية.

ـ يجب ان يقبل يا سيب. يجب ان يتأقلم مع الوضع الجديد.

ـ هل ابلغك الدكتور رومالدو عن آماله بالنجاة والبقاء على قيد الحياة.

ـ لقد كلمني الدكتور بصراحة. قال لي ان الشظايا العالقة قد تتسبب في بعض الالتهابات او قد تتحرك حتى ان بعض المرضى يتجاوزون هذا الأمر لكن رايك لا يفعل.

ـ لم اعرف بعد كيف تتعاملين معه عندما يكون ثائراً.

ـ بصعوبة بالغة، صدقني.

ـ اود ان اشكرك لانك اتيت فوراً الى الجزيرة عندما دعاك والدي. لقد مر هو ايضاً بظروف صعبة. كانت لرايك منزلة خاصة عنده لانه ابنه البكر.

ـ ما زال يكن له محبة خاصة رغم ان رايك قد تغير عن السابق نوعاً ما.

ـ انت معجبة به، اليس كذلك؟

ـ بالطبع، انه انسان شجاع.

ـ وما هو رأيك بي، يا عزيزتي؟

لم تكن المرة الأولى التي يناديها فيها «يا عزيزتي» ولا المرة الأولى التي يحدق فيها بحنان. راحت تتساءل في قرارة نفسها عن السبب الذي دفعها لتحب رايك بدلاً من سيب رغم ان هذا الأخير كان الطف بكثير. اقترب منها وقال:

ـ سحر عينيك يصيبني في الصميم. انا احب...

فقاطعته وهي تضع يدها على شفتيه في محاولة لاسكاته:

ـ سيب... ارجوك لا تتابع... لا تقل هذه الاشياء، ارجوك!

ـ ولم لا؟ انا اعني ما اقول. الا يعجبك مظهري؟ لست قبيحاً الى هذه الدرجة.

ـ بالعكس، انت وسيم وبهي الطلعة.

ـ ولماذا كل هذا النفور اذن؟

ـ انا اعمل هنا كممرضة ولا يجب...

ـ يجب ان تعرفي بأني معجب بك منذ زمن. انا احس كأنك دائماً بعيدة عني وتسبحين في عالم من الأحلام. ما هي هذه الاحلام يا انجي؟ هل هناك احد في حياتك؟

ـ انا لا احب ان يتدخل احد في شؤوني الخاصة.

ـ انت انسانة منطوية على نفسك، يا عزيزتي.

- تماماً. ثم انا لا ارغب بأن تناديني هكذا.
- يا عزيزتي؟
- تماماً، وانا اقترح عليك الا تقول لي هذا الكلام امام والدك.
- هل تعتقدينه سيغضب اذا علم بأني احب فتاة انكليزية؟
- نعم، وليس عليك ان تتكلم عن . . . الحب!
- ان الحب هو من اجمل الاشياء التي يمكن للمرء ان يتكلم عنها.
ثم احاطها بذراعيه بحنان وفاجأها بعناق لم تستطع الهرب منه. كان يعانقها برقة فانسجمت معه ولم تتمكن من المقاومة. ثم ابعدها عنه برفق وتمتم قائلاً:
- يا حبيبتي! لن ادعك تهربين مني!
- سيب ارجوك . . . سيب!
- لا عليك، لا تخافي. انا احبك كثيراً وارغب بك. اردتك فقط ان تعرفي مشاعري نحوك لكي تفكري وتتخذي قرارك. انا لست مستعجلاً، استطيع ان انتظر.
ثم ساد صمت قطعه سيب بالقول:
- ما الذي يجعلك تعتقدين بأن والدي سيرفض زواجي من فتاة انكليزية؟
- لأنه اسباني حتى العظم ولانه يريد لأولاده الثلاثة ان يتزوجوا من اشخاص تجري في عروقهم دماء اسبانية.
- يستطيع ان يطلب هذا من رايك لأنه البكر، الا اذا حدث الأسوأ واصيب رايك بمكروه لا سمح الله. لكنه سيبقى حياً. . . . سيبقى حياً اليس كذلك؟
عند سماعها هذه الكلمات احست انجي بقلبها ينتفض في صدرها كالعصفور. كيف ستقوى على الحياة لو توفي رايك؟ ماذا ستفعل؟ تمالكت نفسها واجابت سيب بهدوء:
- ان المرضة معتادة على التفكير بطريقة ايجابية دائماً. لو بقيت الأمور كما هي الآن، باستطاعة رايك ان يعيش طويلاً.

- باذن الله عز وجل.
- لا احد منا يا سيب يستطيع ان يتنبأ بقدره. قد اموت غداً مع ان صحتي ممتازة. ان الاعمار بيد الله في اية حال.
غيّر سيب الموضوع. وسألها:
- هل تعتقدين ان مايا ستدعو هذا الشاب الذي تخرج معه الى حفل العشاء الذي قرر والدي اقامته بسبب زيارتي للجزيرة؟ على فكرة ما رأيك بهذا الشاب، خاصة وانك تعرفينه؟
- انه انسان جذاب.
- انا آسف لاني لم اكن هنا يوم دعاه رايك الى العشاء مع العائلة. لقد اخبرتني عمتي فرانشيسكا بانه اكبر من مايا بعدة اعوام. هل تجدين هذا الأمر سيئاً ام تحبذين ان يكون الرجل اكثر خبرة من المرأة؟
- انا لا استطيع ان اتكلم بالنيابة عن مايا. اضف الى ذلك اني لا اعتقد بأن هذه العلاقة ستدوم بل ستنتهي حالما يغادر توركال الجزيرة.
- اعتقد بانها متأثرة به، فهي تبدو شاردة في اغلب الاحيان.
- ان توركال ارمل. لذلك لا اعتقد ان اهتمام مايا به سيكون تصرفاً حكيماً.
- لماذا؟ اتعتقدين ان قلبه قد دفن مع زوجته؟
- نعم.
- نحن نعلم ماذا يحدث عندما يموت شخص عزيز. لكن الحياة ستستمر شئنا ام ابينا وربما كان بامكان مايا ان تسعده ثانية. الا تعتقدين بأن الانسان يمكن ان يحب مرتين؟
- لا اعتقد بانه يمكن ان يحب مرة ثانية بالقوة نفسها.
- انا اوافقك الرأي، لكن الانسان بحاجة لمن يشاركه في حياته. لا يمكن للانسان ان يبقى وحيداً.
- ان يكون وحيداً لا يعني بالضرورة ان يكون مستوحداً.

عندها جذبها سيب نحوه وعانقها للمرة الثانية وهو يقول لها:
ـ انت لم تخلقي لتكوني وحيدة.
سمحت له هذه المرة ايضاً لكنها لم تكن تشعر به. لاحظ هو ذلك وراح يشد فكاد يعصرها عصراً بين ذراعيه القويتين.
ـ انه مشهد رائع، لا اعتقد بانه علينا ان نزعجهما!
ـ انجي وسيب، يا عزيزي. انهما يتعانقان تحت النخلة. ليس من اللائق ان نفسد خلوتهما.
فجأة ارتجفت انجي بين ذراعي سيب. قطعت عليه عناقه وادارت رأسها الى حيث يقف رايك وايزابيل. فشاهدت ابتسامة خبيثة ترتسم على وجه هذه الأخيرة. تصورت انجي ان ايزابيل ستهرع الى دون كارلوس لتخبره ما رأت وتبدأ عندها المشاكل الحقيقية.
وقف سيب وقال:
ـ لا اريد ان يستنتج احداً استنتاجات خاطئة. انا وانجي نخطط للزواج قريباً.
احست انجي فجأة كأن صاعقة نزلت عليها، فجلست صامتة لا تدري ماذا تقول. انها لم تفهم ما الذي دفع بسيب الى ان يقول ما قاله:
ـ تهانينا لكما.
قالتها ايزابيل ضاحكة فيما كانت تمسك بيد رايك وتابعت موجهة كلامها اليه:
ـ اليست هذه الاخبار سارة؟ فلنأمل ان يبارك دون كارلوس هذا المشروع.
ـ يبدو انك لم تضع وقتك يا اخي.
ـ ان الفضل في ذلك يعود لك يا رايك.
تنهد رايك قائلاً لشقيقه:
ـ حسناً! تهانينا يا سيب! هيا بنا يا ايزابيل لتناول الشاي.

فأجابته والبسمة تعلو شفتيها:
ـ نعم، هيا بنا ولنترك العاشقين وحدهما.
في هذه الاثناء كانت انجي واقفة تنظر الى سيب بغضب شديد. وما ان استدار رايك وايزابيل على اعقابهما حتى صرخت به:
ـ ما الذي دفعك الى ان تقول ما قلته؟ كيف تجرأت؟
ـ انت تعرفين ايزابيل. لو لم اتصرف هكذا لحملت الخبر لوالدي وحرفته، ولكنا وقعنا في ورطة لا تنتهي.
ـ اعلم هذا، ولكني عندها كنت سأتصرف على طريقتي. اسمع جيداً، وتابعت مرتجفة، ليست لدي النية لأتزوج منك او من اي شخص اخر، لذلك سوف يكون عليك ان تخبر رايك بالحقيقة!
عندما سمع هذا الكلام امسك بها من ذراعها وشد عليها قائلاً:
ـ حسناً. ولكني اراك مهتمة بأمر رايك، هل لي ان افهم لماذا؟
ـ لانه مريضي وانا اعنى به يا سيب. ولاني لا اريد ان اطرد من الفيلا قبل ان انتهي من عملي. اعلم ان والدك محافظ جداً حيال كل ما يتعلق بالاخلاقيات، لكنه كان بمقدوري ان اقنعه بالحقيقة مهما كذبت ايزابيل. لقد استغليت الظرف ولم يكن يحق لك!
ـ لكني اريدك يا انجي، فأنا احبك.
ـ ان الحب هو رغبة ثنائية يا سيب. الم تتساءل يوماً اذا كنت احبك ام لا؟
ـ لكنك لم ترفضي عناقي، بل شاركتني به.
ـ هذا لانك ارغمتني.
ـ كوني منصفة، انجي. لو لم ترغبي به لكنت قاومت اكثر.
ـ لم افهم، وتابعت ببرود ظاهر، ان الرجل عادة يشعر فوراً بمدى تجاوب المرأة.
فحدق بها بغيظ وراح يشد على ذراعها:
ـ وانت، هل تجاوبت مع احد ما لغاية الآن؟ هيا تكلمي، اريد ان اعرف؟

- قلت لك دعني! لم اظن انه من الممكن ان تكون هكذا. لقد ظننتك الطف بكثير.

- انا رجل، يا انجي، ولا اشعر بالراحة للوضع الآن لكي اكون لطيفاً معك. اريد ان اسمع منك فوراً ان رايك، كرجل، لا يعني لك شيئاً.

- لقد بدأت تتصرف بطريقة حاقدة. . .

- قولي ما طلبته منك قبل ان الوي معصمك!

- هذا كلام رائع!

- اريد جواباً على سؤالي. الآن!

رفعت شعرها عن جبينها بيدها اليسرى وقالت له:

- حسناً، حسناً. اني، كامرأة، لا اعني لرايك شيئاً. هل هذا يرضيك؟

- اعتقد ذلك. لم تدفعني اية امرأة الى التصرف بهذه الوحشية من قبل! هل انت مسرورة؟

- آه، سيب. لم اعد اشعر بأننا اصدقاء كذي قبل.

- نحن لسنا اصدقاء، يا عزيزتي. نحن رجل وامرأة تواجهنا مسألة مبدئية. هل سنتزوج ام لا؟ انا اعرف ماذا اريد، اما انت فيبدو انك بعيدة كلياً عن الواقع. ماذا سيحدث عندما يعلن رايك بانه لم يعد بحاجة لك؟ او، لنفترض الاسوأ، اذا. . .

فابيض لون انجي فجأة وصرخت بسيب:

- لا، لا ارجوك لا تقل. . . ارجوك!

- ايتها المجنونة! ايتها الحمقاء! ان رايك غير قادر على الاقتران بك حتى ولو رغب، الا تعلمين هذا؟ لقد قرر والدي، ومنذ زمن طويل، ان رايك سيتزوج من ايزابيل. ان اخي انسان عملي رغم كل شيء يا انجي، وهذا ما سيدفعه في النهاية الى القبول بزواج مدبر. لقد رأيتهما معاً للتو، ومع ذلك، ما زلت ترفضين ان تصدقي.

اخرج من جيبه اسوارة ذهبية وقبل يدها ثم وضعها فيها. كان هذا تقليداً اسبانياً يعني انه يطلبها رسمياً للزواج. حدقت به وهي مذهولة من هول المفاجأة.

- جربي هذه، لو سمحت.

- انزعها ارجوك.

- اذا كنت لا تريدينها، فما عليك الا ان تنزعيها بنفسك يا عزيزتي.

- ارجوك، هيا، نحن لا نلعب.

- انا اوافقك الرأي تماماً. نحن لا نلعب بالفعل.

- اذن فانت تعني؟

- تماماً. غداً خلال العشاء سأطلب يدك رسمياً.

- ومع هذا، سوف يبقى جوابي على حاله.

- ورفضي لهذا الجواب سيبقى ايضاً على حاله. فانا قادر على ان امنحك حباً كبيراً يا انجي بعكس رايك. انه سيتزوج من ايزابيل، الا ترين هذا؟ انه واجبه نحو العائلة وانا متأكد من انه سوف يقوم به كعادته.

احست انجي بانها ستبكي لا محالة، اذا بقيت هنا تستمع الى كلام سيب. فاستدارت على اعقابها وركضت نحو المنزل بسرعة.

ما ان وصلت الى غرفتها حتى ارتمت على سريرها وهي تتنهد. راحت تفكر بأنه من الأفضل لها ان تطلب من دون كارلوس ان يعفيها من مهمتها لتعود الى انكلترا فتتخلص، ولمرة واحدة، من كل هذه المشاكل التي تتراكم يوماً بعد يوم.

فجأة فتح الباب، فاستدارت وهي تعتقد ان القادم سوف يكون رايك. ولكن توقعها لم يصح، فقد كانت مايا التي بادرت انجي بالقول والاضطراب باد عليها:

- انجي، يجب ان اكلمك.

- ادخلي اذن يا مايا، ادخلي، واقفلي الباب وراءك.

بدت مايا جذابة بملابس الفروسية وايقنت انجي انها كانت مع توركال، فقالت لها:
- تبدين رائعة! هل تمرنت جيداً؟
فأومأت مايا بالايجاب وجلست على كرسي صغير قرب السرير.
- تبدين قلقة. ما بك؟
- كيف تعرف الواحدة منا اذا كانت تحب فعلاً، يا انجي؟ لقد ظننت في السابق بأني كنت احب رودي، لكني تأكدت من ان الأمر لم يتعد كونه بالنتيجة تمرداً على آراء ابي وعلى سلطته. لقد كنت دائماً...
وقاطعتها انجي سائلة بتردد:
- هل هو ... توركال؟
- تماماً. لقد كنت تعلمين بما حصل له، اليس كذلك؟ لهذا السبب لم ترغبا، انت ورايك بأن ارتبط بعلاقة معه. لقد شعر هو بهذا الأمر، فشرح لي الموقف بدقة... هل فوجئت بهذا الأمر؟
فأجابتها بوداعة:
- كنت فوجئت لو لم يخبرك بنفسه.
- انه انسان رائع، ساحر، جذاب! اريد ان ابقى الى جانبه على الدوام، ولقد اخبرته بذلك! اني لا إطيق ان يغادر بايلتار وحيداً! لا اطيق ان يغادر بايلتار بدوني يا انجي. آه، انت تظنين اني، ولا ريب، مجنونة.
- لا، انت لست مجنونة. انه رجل جذاب وانا افهم مشاعرك جيداً. لكن ما هي مشاعره تجاهك، هل اخبرك بها؟
- لقد اخبرني بانه لا يمكننا ان نتزوج. ولقد اصر، وتابعت باكية، على ان أنساه وأقع في حب شاب بمثل سني، بمقدوره ان يمنحني حباً واولاداً. لكني لا ارغب بأحد سواه. انا اشعر في اعماقي بأني قادرة على اسعاده!
- لكنه لا يقدر على منحك حباً كاملاً يا مايا. اتفهمين ما اعني؟
اومأت مايا بالايجاب وكرت دمعة على خدها:

- انا احبه كثيراً وافضل الموت على الابتعاد عنه. ان اجبرت على التخلي عنه فسوف ادخل الى الدير. فليكن كلامي واضحاً وهذا ما سأقوله لأبي.
- في كل حال، انا انصحك بالتفكير ملياً قبل اتخاذ اي قرار حول هذا الموضوع. ان الأمر ليس بالسهولة التي تتصورين، وقد يكون عليك المرور في حقل الغام قبل الوصول الى مبتغاك.
كانت مايا في هذه الأثناء تحدق بالاسوارة الذهبية في معصم انجي وما ان انتهت هذه الأخيرة من كلامها حتى سألتها:
- انجي، هل انت واقعة في الحب؟
- نعم.
وايقنت انها تسرعت بالاجابة على السؤال. لقد اصبح الآن بامكان مايا ان تسألها عن اسم الشخص الذي تحبه ولن يكون بمقدورها ان تتفوه باسمه.
اقتربت مايا منها وامسكت بيدها متأملة الاسوارة الذهبية:
- من اعطاك هذه؟
لم تجد انجي مفراً من الاجابة:
- انه سيب، لكن لا تستنتجي استنتاجات خاطئة، مايا. لقد طلب مني ان اجربها وهذا لا يعني انني سأبقيها.
- انها جميلة على اية حال. لماذا تتصرفين بهذا البرود؟ لو قدم لي توركال واحدة مثلها لطرت من الفرح. ثم انت تعلمين عاداتنا هنا، لذلك انا اعتقد بانك ما كنت سمحت له بوضعها في يدك لو لم تقبلي بالزواج منه.
- لقد فاجأني واربكني فلم اعد اعرف ماذا افعل. انه عنيد على ما يبدو، ويرفض ان يسمع جواباً سلبياً مني عن موضوع الزواج. اضع الاسوارة لبضعة ايام ثم اعيدها اليه.
- ولماذا تعيدينها؟ انه شاب وسيم، الا تعتقدين؟ ثم انتما تعرفان بعضكما منذ مدة طويلة، منذ كنا اطفالاً.

خيم سكون على الغرفة قطعته انجي بسؤال:

- هل صحيح ... ان رايك وايزابيل سوف ... سوف يتزوجان؟

- هذه ترتيبات عائلية اعدها والدي منذ زمن بعيد. انت تعرفين رأيي في هذا الموضوع، لكن المهم هو رأي رايك.

- اتعتقدين بأنه يحب ... ايزابيل؟

طرحت انجي سؤالها والحزن يكاد يخنقها. لقد احست بأن كلماتها تخرج من مكان بعيد... بعيد عنها. لقد شعرت باحساس غريب، بدائي، اضعف اقتناعها بأن الحب هو الأساس لزواج ناجح وسعيد.

- لا اعتقد بانه يحبها. لكن العائلات الاسبانية غالباً ما ترتب زيجات من هذا النوع، خاصة عندما يتعلق الأمر ببكر العائلة.

- لكن هذا ليس عدلاً. لنفترض ان الابن البكر يحب فتاة ما. فهل يجب عليه ان يضحي بها وبحبه لها من اجل الحفاظ على تقاليد العائلة؟

- هذا ما يحدث غالباً. ان الحب مؤلم وقد يكون من الحكمة الا يقع الانسان فيه. لكنه قسم من حياتنا، اليس كذلك؟ انا عندما انظر الى عمتي فرانشيسكا الاحظ ان الحياة قصيرة وتمر بسرعة آخذة معها لذة الشباب. اراقبها وهي تطرز، واتصور نفسي مكانها. حياتي اشرفت على نهايتها وزالت كل آمالي واحلامي. هذا ما سيحصل اذا ذهب توركال وتركني. الا تشعرين بنفس الشيء تجاه اخي سيب؟

- انا معجبة به كثيراً، لكنني لا احبه!

- انت تتكلمين بطريقة جدية. آه، الآن تذكرت حديثنا منذ عدة ايام. اذن انت تحبين رايك، وهو ملك لايزابيل. يا الهي، يبدو اننا عاشقتان تعيستان.

- قد يكون الأمر كذلك. لكن ما يواسينا هو اننا، على الاقل، نعرف بأننا نحب اشخاصاً جديرين بالثقة والاحترام.

- كم اتمنى ان يقتنع توركال بوجهة نظري. كم ارغب في ضمه الى صدري والعناية به. الا ترغبين يا انجي بأن تفعلي الشيء نفسه، مع رايك؟

اومأت بالايجاب ولم تجد انه من الضروري ان تخبرها بأنها سبق وفعلت هذا عدة مرات عندما كانت تدخل الى غرفته وتجده في حالة يرثى لها من تأثير الكوابيس. فكرت ان ايزابيل ستسر كثيراً بمركزها الجديد كزوجة ابن حاكم الجزيرة. لكنها لن تتمكن ابداً من التفاهم مع رايك، لأنها لن تستطيع ان تفهم مخاوفه واكتئابه. انها تحب نفسها اكثر من اي مخلوق على سطح الارض. لقد كانت انجي متأكدة من هذا.

فجأة قفزت مايا وهي تقول بعصبية:

- لقد قررت الا اخضع لرأي احد. انا اعرف ان توركال يحتاج الي ولذلك سوف اذهب معه الى اسبانيا!

حدقت انجي بصديقتها بقلق واضطراب وقالت لها:

- انت تعرفين الظروف التي تحيط وستحيط بهذه القضية اذا اقدمت على القيام بما قلته لتوك،هل تعتقدين ان تصرفك سيكون حكيماً؟

- وهل تتصرفين انت بحكمة، اذا عرفت بأن رايك يحبك مثلاً؟

- لا، لا اعتقد.

فنظرت مايا اليها وكان التصميم على التنفيذ باد في عينيها:

- اذن قفي الى جانبي. ان لم يأخذني توركال معه، فسوف الحقه كظله الى ان يقبل بي. انا اريده تماماً كما تريدين انت رايك، رغم اصابته. ان الحب يقاس بمقدار العطاء ولا يحق لأحد ان يحرمنا من هذا الحق. الست على صواب يا عزيزتي؟

- بلى، انت على صواب. متى سيغادر توركال الجزيرة؟

- انه يخطط للسفر غداً اثناء الحفلة التي سيقيمها ابي. لقد تعرف على احد مالكي اليخوت في الفندق حيث ينزل، وهذا الأخير سيقله

الى كوردوبا ، سوف اتصل بالسيد ماكينوس واسأله اذا كان يقبل بنقلي معه في اليخت. واطلب منه الا يخبر توركال بالأمر لانني اريد مفاجأته. سأغادر الحفلة مع توركال متذرعة بأني ارغب في توديعه على المرفأ. سوف يقيم الدنيا ويقعدها عندما اصعد الى اليخت، لكنه بالتأكيد لن يرمي بي في البحر.

واردفت قائلة وهي تبتسم:

- على الأقل هذا ما اتمناه. تمني لي حظاً سعيداً يا انجي.

- الى اللقاء يا مايا. في امان الله!

وبعد لحظات اصبحت انجي وحيدة في الغرفة. فلقد اغلقت مايا الباب وراءها، وقررت بأنها سوف تتبع توركال في السراء والضراء. اصبحت تعرف تماماً ماذا تريد. فقد نضجت ووجدت الشجاعة الكافية لتواجه قدرها مع من تحب.

٨ - نحيا معاً او. . .

انشغل خدم الفيللا طوال النهار بالتحضير لحفلة الاستقبال المسائية التي سيقيمها دون كارلوس بمناسبة زيارة سيب. كانت عملية الاعداد هذه مرهقة بالفعل للجميع وكانت الاثارة تضفي على الجو نكهة خاصة، لأن الحفلات التي يقيمها دون كارلوس هي اجمالا حفلات كبيرة، يزينها رقص الفلامنغو والطعام الممتاز.

ابتدأت الشمس تغيب في الافق وما هي الا لحظات حتى تضاء الأنوار ويبدأ المدعوون بالتوافد.

وقفت انجي في غرفتها، تتأمل امام المرآة فستانها الحريري الازرق. لقد اشترته في صبيحة هذا اليوم بالذات من احد متاجر الساحة ناسبها تماماً وكأنه صنع خصيصاً لها، بطوله الذي يلامس

الأرض واكمامه القصيرة. تعطرت بعطرها المفضل: شانيل رقم ٥، ثم سرحت شعرها القصير بسرعة. اطفأت النور وجلست تفكر كعادتها. كانت مأخوذة بأفكارها الى درجة انها لم تلاحظ ان شخصاً ما قد دخل الى غرفتها.

فجأة لامست كتفها العارية يد، فانتفضت كمن اصيب بمس:

- لا تنتفضي هكذا. اذا كنت اخفتك فهذا يعني ان الغرفة مظلمة.

- فعلاً.

اعادتها لمسة رايك الى الواقع، وقفت لتضيء النور فقال لها:

- يبدو لي انك تتحضرين للسهرة.

ثم انحنى عليها ليشتمّ رائحة العطر على بشرتها، فلفحتها انفاسه الحارة. وتابع قائلاً:

- ألست انت من قال لي، بأن علي ان اعوض بيدي وببقية حواسي عن فقدان البصر؟

- بلى، تماماً.

كان الراديو الى جانبها يصدح باغنية قديمة لشيرلي باسي عنوانها «انت تسكن في مسام جلدي».

- غريب هو شعور المرأة عندما يتلمسها انسان غير قادر على رؤيتها. ما هو لون ثوبك، انجيلا؟

- ازرق. ازرق غامق.

- يبدو لي ان هذا اللون يحبه الانكليز كثيراً. فأنت ترتدين ملابس زرقاء في اغلب الاحيان... ان رائحة الهواء البحري المختلط بأريج الياسمين تبدو فواحة هذه الليلة. انا سعيد لأن هذه الأمسية ستكون ممتازة بالنسبة لسيب... هل تحبينه كثيراً؟

احست بامتعاض من السؤال، فهي تفضله هو على كل رجال الارض، لكنه لا يعلم ذلك. عندما طال انتظاره ولم يسمع جواباً، استطرد مستفهماً:

- هل تدخلت في أمور لا تعنيني، انجيلا؟ انا احترم صمتك، وتابع وهو يبعد يده عنها، ولكن كوني على ثقة بأن علاقتكما هذه ستحظى بدعمي وتأييدي اذا واجهتكما مشاكل مع العائلة. انا لن اتخلى عنكما لأني احبكما واريدكما ان تبقيا معاً.

احست انجي ان كلماته تنفذ كالسكين الى داخلها. لكي تنسى المها وجدت ملجأ لها في الثرثرة:

- اني اضع الآن الاسوارة التي قدمها لي سيب، لذا اتمنى ان يحظى هذا الزواج على موافقة والدك. الا تريد ان تتحسس الاسوارة؟

- حسناً، ما دمت تصرين.

ثم تمتم بعد ان فعل:

- اهي من الذهب؟

- وماذا غير ذلك؟

امسك بساعدها وقال لها:

- انت تريدين ان تتزوجي من سيب، اليس كذلك؟

- تماماً. انه بهي الطلعة، كريم النفس وحنون القلب. واية فتاة لا تتمنى ان تجد كل هذه الصفات في رجل واحد؟ ثم، الم تقل لي انت، منذ اسابيع، بأني كنت دائماً افضل سيب عليك، الا تتذكر؟

امسك بكتفيها وادارها لتواجهه قائلاً:

- انجيلا، ما الذي حصل بالضبط؟

- لا، كل ما في الأمر اني ارتبطت بشخص جذاب وساحر. فلماذا تريد ان يكون في الأمر شيء؟

انها ما تزال تحبه بصدق، لكنها تحاول ان تدافع عن كرامتها وكبريائها امامه. فهو لم يترك لها المجال لكي تعبر عن مشاعرها، بسبب عدوانيته المفرطة.

- ان ايزابيل قد صورت لك بدقة دون شك، عناقنا انا وسيب تحت النخلة، اليس كذلك؟ نحن بالكاد نقوى، وتابعت ببرود، على انتظار عقد القران. من حسن الحظ ان سيب ليس ابن العائلة

البكر، وليس بالتالي مضطراً للزواج من فتاة اسبانية، الا توافقني الرأي؟

فأجابها بسخرية:

ـ اهذا ما يفعله الابن البكر دائماً، اذا كان اسبانياً؟

واردف قائلاً بعد هنيهة:

ـ أحس بأنك ترتجفين، يا انجيلا. انه الشوق الى سيب، اليس كذلك؟ يجب ان تتزوجا في اسرع وقت، سأتدبر الأمر، فأنا لا اريد ان يفوتني الزفاف.

فدفعته عنها وارتدت نحو النافذة وهي تنهره:

ـ رايك، بحق السماء الا تكف عن التحدث عن الموت؟ اهذا ما تريده؟ لقد بدأت اتساءل...

ـ انا اعلم جيداً باني لن ارى مرة ثانية. لقد ارغمت الدكتور رومالدو على قول الحقيقة. ان الاصابة غير قابلة للشفاء، لأن اعصاب النظر قد اتلفت. لكننا بشر ونؤمن بالمعجزات.

ـ ان المعجزة هي انك حي ترزق، وانت في وضع صحي يؤهلك للبقاء حياً لمدة طويلة جداً. الم يخبرك الطبيب هذا ايضاً؟

هز كتفيه بلا مبالاة وصمت، فراحت تحدق به فيما الوجوم يسود الغرفة. كانت تتمنى لو انها الشخص الذي تم اختياره للبقاء بجانبه مدى الحياة. لكن هذا الحق كان يعود لايزابيل حتى اشعار اخر. لقد اتخذ القرار العائلي منذ زمن ويبدو ان الرجوع عنه صعب لا بل مستحيل، رغم ان ايزابيل لا تفهم رايك مثلما تفهمه انجي.

تجاه لامبالاته شعرت بدمها يفور فصرخت به:

ـ اتعلم، انت لست كفيفاً فحسب، بل اعمى البصيرة ايضاً. الم تلاحظ ان العمى لم يفقدك قوتك وشجاعتك؟

وقف امام النافذة ورفع عينيه نحو القمر الذي تنعكس اشعته على صفحة الماء:

ـ انت تقولين هذا الآن مع انك ترين كيف ارتجف من الخوف،

عندما تداهمني الكوابيس في الليل. يجب ان اقر بأني سوف افتقد خدماتك عندما سيأخذك سيب من الجزيرة، لكني بطبيعة الحال لا يمكن ان اقف في... طريق سعادتكما.

شعرت انجي برغبة جامحة لتكذيب هذا الكلام والبوح بالحقيقة المجردة، لأن الوضع لم يعد محتملاً. لقد عرفت فجأة ان المرأة عندما تحب لا تعود ملكاً لنفسها بل تصبح ملكاً لحبيبها شاء هذا الأخير ام ابى. وتشعر انها اصبحت مقيدة به بعواطفها ومشاعرها.

ـ كيف حال الطقس في الخارج الليلة؟

ـ انه رائع. النسيم العليل يداعب الاشجار، القمر مكتمل واشعته تضيء صفحة الماء.

فقال لها بحزن:

ـ يبدو انها ستكون امسية ممتعة لكليكما ويقال ان...

فامسكت بكم قميصه وقاطعته:

ـ انا لن اتركك وحيداً. سابقى بجانبك الى ان اتأكد من انك لم تعد بحاجة الي.

ـ هذا تصرف كريم منك يا انجيلا، لكنني اشك في قبول اخي لهذا الأمر، فهو يريدك له وحده. هل نذهب الى الحفلة الآن؟

ـ نعم.

ثم توجهت نحو الراديو واطفأته.

ـ كانت اغنية رائعة. المانية، اليس كذلك؟ انا لست مطلعاً بعمق على الموسيقى، فالأغاني التي يغنيها الجنود قلما تكون عاطفية.

ـ ان عنوانها هو: ضياع الحب.

فوقف لحظات صامتاً ثم بادرها:

ـ عليك ان تفكري الليلة بفرح الحب الكبير. هيا، سيري بي نحو المرح واللعب يا انجي. انا بحاجة لبعض الطعام ولأغاني الفلامنغو!

فتأبطت ذراعه وهي تتمتم:

ـ وللنساء؟

فأجاب ببطء:
ـ فقط ايزابيل الجميلة.

كانت اضواء المصابيح تشعشع في الخارج وصوت الموسيقى الاسبانية المنبعثة من الغيتار تضفي على المكان اجواء رائعة. كانت الفسحة تعج بالمدعوين من كل حدب وصوب، وبعض الغجر يرقصون الفلامنغو بملابسهم التقليدية الرائعة. وكانت انجي الاستثناء الوحيد في الحفلة، بملابس السهرة التي ترتديها.

ما ان شاهدها دون كارلوس حتى اقترب منها وفي يده وردة قدمها لها وهو يقول، بعد ان قبّل يدها وحدق في عينيها كمن يبحث عن سر ما:

ـ لقد اخبرني سيب بأنه يرغب في ان يكون زوجاً لك، فهل هذا صحيح؟ هل تريدين الزواج منه يا ابنتي؟

في هذه الاثناء كان سيب يراقص بعض المدعوات بعيداً عن المكان. ما ان لاحظت ان رايك يقف مع ايزابيل بالقرب من المكان، حتى اجابت بصوت عال ومسموع:

ـ نعم، دون كارلوس، انا ارغب بالزواج من سيب.

لكنها كانت تعرف في قرارة نفسها انها كانت تكذب عليه وعلى نفسها. فهي طوال حياتها لم تحب سوى رايك، رايك وحده.

فابتسم دون كارلوس بحنان وردد:

ـ يبدو اذن ان الحفلة اتت في وقتها وان بطريقة عرضية.

ثم تطلع صوب ابنه البكر ولمحت انجي على وجهه مسحة من الحزن. لقد كان واضحاً ان هذا الهم يثقل عليه.

اصر سيب على ان تبقى انجي بجانبه طوال السهرة وكان يحرص على اطعامها بيده. لقد اكلت وشربت، وضحكت وتحادثت مع بعض المدعوين. رغم هذا لم يفتها وداع توركال لرايك اثناء الحفل. لقد شاهدتها يتعانقان كشقيقين. في نفس الوقت، رأت مايا وهي تنظر اليها نظرة تأكدت منها انها سوف تغادر مع توركال مهما كلف

الأمر ومهما كانت النتيجة. فابتسمت وهزت رأسها وهي تتمنى لها التوفيق والسعادة. كانت تدرك ان هذه الرحلة ستكون قاسية بالنسبة الى مايا لكن هذا الامر لا مفر منه لكي تصل الى ما تصبو اليه.

تمتمت قائلة لها:

ـ الى اللقاء يا صديقتي، في امان الله!

واذا بسيب يناديها قائلاً:

ـ لماذا كل هذا الصمت يا حبيبتي؟ ماذا في الأمر؟ ألم تعجبك الحفلة؟

ـ انها حفلة رائعة والموسيقى تحرك مشاعري بسهولة.

ـ وما سبب حزنك اذن؟ هل هو رايك؟

ـ اعتقد هذا.

ارغمت نفسها على الابتسام ثم راحت تراقب غجرية شابة وهي ترقص فوق احدى الطاولات بفرح ونشوة. وفجأة قفز شاب من بين الحضور ليشاركها الرقص يصحبه حماس الحاضرين وتشجيعهم عبر صرخات مدوية باستمرار... اولية، اولية....

خلال انشغال الجميع بالرقص راحت تنظر الى حيث كان يقف رايك وايزابيل فلاحظت انه كان يضطر للانحناء عندما تكلمه ايزابيل. لم تكن انجي تحبها، لكنها تقر بأنها تبدو الليلة جميلة جداً ورائعة. فجمالها الأسباني التقليدي وتسريحة شعرها جعلاها تبدو كوردة ولا اجمل.

رفع رايك كأسه الى شفتيه فالتقت عيناه بعينيها وخيل اليها للحظة انه رآها. لكن لم يرها وكيف يقدر على ذلك وهو ضرير؟ لم تكن الا مجرد ظل اسود لا يعني له شيئاً. لأن المرأة لكي تعني له شيئاً يجب ان تكون بمتناول يده كايزابيل الآن.

ـ كانت رقصة الشاب والفتاة الغجرية رائعة، أليس كذلك؟

ثم ابتسم سيب وهو يرمقها بنظرات الاعجاب والمحبة وتابع يقول:

- تبدين رائعة الليلة يا عزيزتي. هل ارى انعكاس اضواء المصابيح في عينيك، ام ما زلت ارى دموعاً؟

- بعض من هذا وبعض من ذاك، ربما.

اخذ الكاس من يدها وقال:

- يبدو انك بحاجة لكأس جديدة. سأعود بعد لحظات، فابقي وانتظري هنا تحت اشجار الياسمين. انظري، لقد وقعت بعض اوراقها عليك. انت تبدين كالعروس!

راحت تراقبه وهو يبتعد، ثم جذب شيء ما انتباهها نحو رايك. لقد احست فجأة بأن خطراً ما يحدق به.

ما ان التفتت حتى شاهدت احدى الراقصات الغجريات تمسك بيده وهي تضحك، داعية اياه الى حلبة الرقص. كان واضحاً انها لم تلاحظ عاهته. فجأة دفع بها بعيداً عنه وهو يصيح:

- ابتعدي عني واذهبي الى شخص يستطيع ان يراقصك.

قال هذا واستدار على نفسه محاولاً التخلص من انظار الفضوليين. ورغم ان انجي صرخت محذرة الا انه اصطدم مباشرة بجذع النخلة. صرخ بعض الذين شاهدوه على هذه الحال فوراً، فيما كانت انجي تركض نحوه.

لم يعد يهم انجي ما سيقوله الناس عندما يشاهدونها تركض بهذا الشكل الهستيري نحوه. لم يعد يهمها الا رايك، هذا المسكين الملقى تحت النخلة الآن. عندما وصلت اليه كان ضائعاً في ظلامه الدائم، يشتم ويلعن الساعة التي شارك فيها المحتفلين فرحتهم.

انحنت عليه واحتضنته بيديها قائلة:

- سيكون الأمر على ما يرام، يا عزيزي. انا هنا، ستكون بخير!

- انجيلا!

- هل انت بخير، يا صديقي؟

ثم لمست جبينه بيدها، فأحست بدمائه تغطي اصابعها:

- اوه، يبدو انك اصبت!

استند الى كتفها وهو يقف قائلاً:

- لا شيء مهم. فقط اخرجيني من هنا، انجيلا. ارجوك. فلنذهب حالاً!

سمعته ايزابيل، فسألت انجي والغضب يتطاير من عينيها:

- ما هذا؟ ما هذه المهزلة التي تقومين بها؟ من تظنين نفسك؟

فانتهرها رايك:

- انها الشخص الوحيد في الدنيا الذي يعرف ما اشعر به! دعيها بسلام!

تسمرت عينا رايك بايزابيل والدم يغطي جبهته:

- هل ينظر الجميع الينا؟ هل شاهد الجميع ماذا يصيبني عندما لا تكون انجي بجانبي لتمسك بيدي؟ سيب، هل انت هنا؟

وكان سيب واقفاً هناك حاملاً بيديه اقداح المشروب. راح يحدق كالمعتوه، بانجي وهي تحيط رايك بذراعيها. شاهدته على هذه الحال فقالت له:

- انا آسفة يا سيب. الم تكن تعرف في قرارة نفسك باني لن اتزوج منك؟

رفع الكأس الى شفتيه وشربه بجرعة واحدة:

- بلى، كنت اتوقع هذا. اذا كانت كل هذه الدموع من اجل رايك. اكل شيء لرايك دائماً؟

لم يكن بمقدورها الاجابة. كان على رايك ان يقول اذا كان يرغب بها ام لا! وهل يرغب بها كممرضة او كزوجة! يجب ان يكون واضحاً للجميع انه لم يطلب من ايزابيل ان تكون الى جانبه في محنته! وكيف يفعل اذا كانت هذه الأخيرة تعتبر ان اصابته تشكل ازعاجاً لها اكثر مما تسبب الماً له.

- سيب، اطلب من الموسيقيين ان يعزفوا، ومن الراقصين ان يرقصوا، واسهر على فرح الجميع. اين ابي؟

- اعتقد انه ذهب ليتكلم على الهاتف. يبدو انه امر يتعلق بمايا.

- مايا؟ اليست هنا؟
- لا، لقد ذهبت مع توركال دوبياس.
فتدخلت انجي شارحة:
- لقد ذهبت معه الى اسبانيا. انها تعرف كل شيء عنه ومع هذا فهي ترغب بالبقاء الى جانبه. انها تحبه!
فتنهد رايك وقال:
- تعالي انجي، خذيني في نزهة. خذيني الى الشاطىء، سيري معي على الرمل وابقي ممسكة بيدي. هل تعديني؟
فالتمعت عيناها من شدة فرحها:
- اعدك. لكن يجب ان اغسل جرحك واضمده قبلاً.
- لا عليك، لن يقتلني جرح كهذا! يلزمني شيء اهم بكثير، اليس كذلك؟
وغرق في ضحكة طويلة قطعتها ايزابيل:
- وماذا عني انا؟ ماذا افعل؟
- انصحك بأن تجدي شخصاً يتغزل بجمالك مئة مرة في النهار فهذا الشيء الوحيد الذي تفهمينه. هل نذهب، انجيلا؟
- الى القمر، وتابعت ضاحكة، اذا شئت!
سارا معاً، جنباً الى جنب على الطريق المؤدي الى الشاطىء، والذي تحيط به اشجار من الجانبين. كانت رائحة الزهور تفوح بقوة يساعدها على ذلك نسيم المساء العليل. نظرت انجي الى السماء فوجدتها ناعمة كالحرير ونقية تتلألأ نجومها كما يتلألأ عقد من الجواهر على جيد داكن. كل شيء كان رائعاً.
- ها قد وصلنا.
- هل يمكنك ان تصفي البحر لي يا انجي؟
- انه هادىء وصفحته كالزيت ينعكس عليها ضوء القمر المكتمل. كل شيء خلاب هنا السكون يلف المكان.
ثم صمتت فجأة ووقفت تتأمله منتظرة منه ان يخبرها شيئاً يتعلق

بها.
كانت تنتظر منه ان يقول لها ماذا يعني وجودها هنا بالنسبة اليه.
- غريب كيف يتكلم الناس بنعومة عند المساء. تماماً كما لو كانوا يستمعون الى معزوفة موسيقية لبيتهوفن. بماذا تفكرين، انجيلا؟
- ان البحر والسماء والاشجار تعمر جميعها اكثر منا. اليس هذا كافياً لكي تقتنع بأن حياتنا قصيرة ويجب ان نستفيد منها الى اقصى حد ممكن؟
تجاهل سؤالها وسألها بدوره:
- اذن كنت على علم برغبة مايا في السفر مع توركال؟
- نعم، لقد وثقت بي فأخبرتني انها تحبه كثيراً، يا رايك.
- وانت، اتحبينني حقاً يا عزيزتي؟
- نعم، وسأبقى احبك الى ان تغيب النجوم عن السماء.
- لقد غابت منذ زمن بعيد بالنسبة الي، يا صغيرتي، ولن تعود ابداً. اذا امسكت بيدي فأنا عندها لن ادعك تفلتين مني، فكري جيداً قبل اتخاذ اي قرار.
- اعطني يدك يا حبيبي. آه، لماذا كنت دائماً تدفع بي بعيداً عنك؟ لماذا فعلت كل هذا بي؟ كان يجب ان تفهم حقيقة شعوري تجاهك. كان يجب ان تعرف ذلك عندما كنت اقضي الليالي بطولها الى جانبك ونتحدث حتى الفجر...
- نعم، ولكنك صغيرة. هذا ما جعلني اتردد كثيراً.
- لكني امرأة مكتملة يا رايك. ضمني اليك وستلاحظ ذلك من تلقاء نفسك.
ضمها بقوة الى صدره وقبل شعرها قائلاً:
- انا اعلم بأني لست افضل ما يمكن ان تحصلي عليه فسيب ستطيع ان يسعدك اكثر مني بكثير...
فقاطعته متظاهرة بأنها تدفعه بعيداً عنها وقالت:
- حسناً، كما تشاء. سوف اعود اليه واطلب منه ان يستعيدني. لا

تنسى، انا ما زلت اضع اسوارته حول معصمي.
ـ اللعنة، انزعيها فوراً!
فضحكت وفعلت، ثم وضعتها في جيب سترته:
ـ سوف اقدم لك واحدة لها جرس. هكذا يمكنني ان اعرف دائماً اين تكونين. انجي، عانقيني.
احاطت عنقه بذراعيها بنعومة وعانقته طويلاً للحظات... احست كأنها امتدت بهما الى آخر الزمن.
ـ رايك، انا احبك كثيراً. لم يكن بامكاني ان اقبل بالزواج من احد سواك.
فضحك وعاد يعانقها قائلاً:
ـ اتعرضين الزواج علي، يا حبيبتي؟ اتحبين حقاً هذا الأعمى الجالس قربك؟
ـ ان الحب اعمى بحد ذاته، اليس كذلك؟ يا رايك لهذا السبب يحتاج الناس لبعضهم البعض، وانا احتاج اليك كثيراً... كثيراً!
ـ اذن، ابقي معي يا انجيلا! ابقي معي يا حياتي!
ـ هذا ما اردته دائماً، وما اريده الآن اكثر!
ـ اريد فقط ان اتأكد من شيء واحد يا حبيبتي، هل كان عناقك لسيب يعني لك شيئاً؟
فصححت كلامه قائلة بنرفزة:
ـ هو الذي عانقني.
ـ هذا يعني انه اجبرك على الانصياع له؟
ـ تماماً.
ـ وقبولك لاسوارته؟
فلمست وجهه بحنان:
ـ لقد كانت اشارة تحد مني. لقد بدا لي بعض الوقت انك ترغ
بهذا، لكني قررت فيما بعد ان اعيد الاسوارة اليه. لا اكتمك ا
بأني فكرت بمغادرة الجزيرة مراراً لأن البقاء فيها كان قد اصبح فوق

طاقتي على الاحتمال. كنت اتألم لأني احبك وانت لم تكن تفكر بي.
ـ لقد احببتك، يا حياتي، منذ عودتك الى الجزيرة. بل لأكون دقيقاً اكثر، احببتك منذ لاحظت تصميمك على الاعتناء بي واعادتي الى «الجنس البشري»، كما قلت يومذاك. انا ما زلت اراك في ذاكرتي، وضمها اليه ضاحكاً، فتاة صغيرة ذات جدائل ومعفرة بالتراب من رأسها حتى قدميها. لكن عندما المسك اشعر بأنك انسان اريده ان يبقى قربي اكثر من اي شيء في الدنيا. انجي، عليك ان تقرري الآن، فأنا ما ازال باستطاعتي ان اتركك تذهبين اذا كنت...
فكمت فمه بيدها وقالت:
ـ لا تتفوه بها، يا حبيبي. انا لست خائفة من مشاركتك في الظلمة. ان كل ما اريده، هو ان اعود بك الى النور. لقد احببتك منذ طفولتي، وكنت احلم دائماً بأن اكون لك ولك وحدك. وها انذا الآن امامك، انا لك، لك لتفعل بي ما تشاء.
فقال لها وهو يكاد يطير من الفرح:
ـ لي؟ احقاً. آه، يا عيني، يا حياتي.
وراح القمر يرتفع في السماء فيما كانت انجي تتكىء الى كتف رايك وتتنهد بارتياح. لقد عادت الى المنزل في بايلتار لكي تبقى، وسوف يكون على رايك ان يفاتح والده الحاكم برغبته في الزواج من فتاة انكليزية. احست انجي، بطريقة ما، ان دون كارلوس لن يكون حزيناً لهذا القرار.

تنسى، انا ما زلت اضع اسوارته حول معصمي.

ـ اللعنة، انزعيها فوراً!

فضحكت وفعلت، ثم وضعتها في جيب سترته:

ـ سوف اقدم لك واحدة لها جرس. هكذا يمكنني ان اعرف دائماً اين تكونين. انجي، عانقيني.

احاطت عنقه بذراعيها بنعومة وعانقته طويلاً للحظات... احست كأنها امتدت بهما الى آخر الزمن.

ـ رايك، انا احبك كثيراً. لم يكن بامكاني ان اقبل بالزواج من احد سواك.

فضحك وعاد يعانقها قائلاً:

ـ اتعرضين الزواج علي، يا حبيبتي؟ اتحبين حقاً هذا الأعمى الجالس قربك؟

ـ ان الحب اعمى بحد ذاته، اليس كذلك؟ يا رايك لهذا السبب يحتاج الناس لبعضهم البعض، وانا احتاج اليك كثيراً... كثيراً!

ـ اذن، ابقي معي يا انجيلا! ابقي معي يا حياتي!

ـ هذا ما اردته دائماً، وما اريده الآن اكثر!

ـ اريد فقط ان اتأكد من شيء واحد يا حبيبتي، هل كان عناقك لسيب يعني لك شيئاً؟

فصححت كلامه قائلة بنرفزة:

ـ هو الذي عانقني.

ـ هذا يعني انه اجبرك على الانصياع له؟

ـ تماماً.

ـ وقبولك لاسوارته؟

فلمست وجهه بحنان:

ـ لقد كانت اشارة تحد مني. لقد بدا لي بعض الوقت انك ترغ بهذا، لكني قررت فيما بعد ان اعيد الاسوارة اليه. لا اكتمك ا بأني فكرت بمغادرة الجزيرة مراراً لأن البقاء فيها كان قد اصبح فوق

طاقتي على الاحتمال. كنت اتألم لأني احبك وانت لم تكن تفكر بي.

ـ لقد احببتك، يا حياتي، منذ عودتك الى الجزيرة. بل لأكون دقيقاً اكثر، احببتك منذ لاحظت تصميمك على الاعتناء بي واعادتي الى «الجنس البشري»، كما قلت يومذاك. انا ما زلت اراك في ذاكرتي، وضمها اليه ضاحكاً، فتاة صغيرة ذات جدائل ومعفرة بالتراب من رأسها حتى قدميها. لكن عندما المسك اشعر بأنك انسان اريده ان يبقى قربي اكثر من اي شيء في الدنيا. انجي، عليك ان تقرري الآن، فأنا ما ازال باستطاعتي ان اتركك تذهبين اذا كنت...

فكمت فمه بيدها وقالت:

ـ لا تتفوه بها، يا حبيبي. انا لست خائفة من مشاركتك في الظلمة. ان كل ما اريده، هو ان اعود بك الى النور. لقد احببتك منذ طفولتي، وكنت احلم دائماً بأن اكون لك ولك وحدك. وها انذا الآن امامك، انا لك، لك لتفعل بي ما تشاء.

فقال لها وهو يكاد يطير من الفرح:

ـ لي؟ احقاً. آه، يا عيني، يا حياتي.

وراح القمر يرتفع في السماء فيما كانت انجي تتكىء الى كتف رايك وتتنهد بارتياح. لقد عادت الى المنزل في بايلتار لكي تبقى، وسوف يكون على رايك ان يفاتح والده الحاكم برغبته في الزواج من فتاة انكليزية. احست انجي، بطريقة ما، ان دون كارلوس لن يكون حزيناً لهذا القرار.